المستودع الوحيد المكتبة الشرقية ، ساحة النجمة - بيروت

DISCARDED

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܩܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܘܨܪܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܟܚܐ ܒܝܬ ܕܝܢܐ
ܘܕܚܠܐ ܡܢ ܩܕܡ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܪܐ ܕܐܝܟ ܗܢܐ ܠܘ ܢܪ
ܠܗ ܠܗ ܫܪܐ ܠܐ ܢܣܒ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܪܐ ܠܗ ܫܪܐ ܒܗ
ܢܓܘܣܐ ܒܠܐ ܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܟܘܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

بطاركة الموارنة

نصوص ودروس

٤

بطاركة الموارنة

بقلم

الخوراسقف يوسف داغر

المطبعة الكاثوليكية

لا مانع من طبعه

بيروت في ١٦ تشرين الاول ١٩٥٧

الحقير

محل الختم اغناطيوس زياده

مطران بيروت

هـــذه صفحات في تاريخ « بطاركة الموارنة » جاءت سجلاً ثميناً بما تضمنته من معلومات وبحثاً دقيقاً بما فصّلته من براهين ومقارنات . وبما ان المستندات المبني عليها تاريخ الطائفة المارونية ليست في متناول القارئ العادي، ففي ايجاز خلاصتها ونشرها فائدة كبيرة لكل راغب في الاطلاع .

وان كان الموضوع في بعض دقائقه ما زال مفتوحاً نظراً لقلة الوثائق او لتضاربها، فذلك لا يقلل من قيمة المؤلف ، وفيه من النتائج الوافر العديد والثابت الاكيد .

وقد استحق حضرة المؤلف شكر هواة التاريخ لما بذله في كتابة هذا السفر من جهد طويل بهمة ودقة العالم النشيط وغيرة واخلاص الرسول.

صور في ٢٥/١١/٥٧

الحقير

مخايل ضومط

مطران صور

مقدّمة

في مطلع السنة ال ١٩٣٨ زففنا الى ابناء الوطن العزيز كتابنا « لبنان » وهو لمحات في تاريخه وآثاره واخبار بعض اسره .

واذ لم نأتِ فيه على ذكر المقام البطريركي الماروني الّا لماماً ، عولنا على ان نخصَّ به هذا الكتاب برمته ، وقد وفقنا الله سبحانه الى تضمينه فصولاً ليست بالطويلة المملّة ، ولا بالقصيرة المخلّة ، عن نضال بطاركتنا الاعاظم في سبيل الدين والدنيا . وقد روينا احداث النضال الذي قام به كل بطريرك من بطاركتنا في سبيل الدين والوطن ، من ايام البيزنطيين ، والعرب ، والعثمانيين الى عهدنا هذا ، فيبدو البطريرك الماروني في كل الاحقاب رئيساً دينيًّا ، ومرجعاً مدنيًّا ؛ هو للجميع ، ويرجع اليه الجميع ، من مختلف المراتب ، والمذاهب ، في كل امر يتعلق باستقلال لبنان وسلامته ، ويؤدي الى ازدهاره ورفاهية ابنائه .

ومن احسن ما قادنا الجهد وحسن الطالع الى ايداعه مندرجات هذا الكتاب أسانيد قديمة كانت مخبوءة في رفوف المكتبات ، وخزانات الاديار ، وزوايا البيوتات الشرقية ، فأخرجناها لاول مرة للنور ، وجعلنا الاستفادة منها قيد الامكان .

وكم يطيب لنا ونحن في عصارى العمر ، وربما على بضع خطوات من دار الخلود ، ان نوفّق الى اخراج هذا الاثر ، لا هدف لنا فيه الا خدمة الحقيقة ، والحقيقة وحدها ، ووقف ما ضمناه من معلومات على خدمة مواطنينا الكرام ،

وناشئتنا العزيزة ، وان نجهر بشكر من ساعدونا فيه ، نخص منهم بالذكر : صاحبي السيادة الجليلين اغناطيوس زيادة مطران بـيروت ، وميخائيل ضومط مطران صور ، اللذين امدانا بالكثير من نصائحهما الثمينة ؛ وان ننوّه بما ابداه صديقنا الاستاذ لحد خاطر الذي وقف على الطبع من عناية ودقة ، وأن نردّد مع الاجيال تلك الترانيم الشجية التي ما زالت الآذان تتلقفها بشغف وهي :

مجد لبنان اعطي له !
جمال لبنان لم يذوِ .
مفاخر لبنان لم تنقص
بفضل كفاح البطاركة الموارنة في سبيله !
عاش لبنان !

الخوراسقف يوسف داغر

النصرانيّة في لبنان

قال الاب لامنس[1] : « مما لا شبهة فيه ان الدين المسيحي فاز بالسهم المعلّى في الساحل الفينيقي في اواسط القرن الرابع » .

ومن المعلوم ان التأثير اليوناني ، وكذلك اللغة اليونانيـة ، في شرق البحر المتوسط لم يتعدّ المدن والرسميات ، ولذلك فمما لا شك فيه ان المسيحيين ، في الارياف السورية وفي اعالي لبنان ووسطه ، كانوا من السريان .

وقال التلمحري[2] في كلامه على المجمع الخلقيدوني المنعقد سنة ٤٥١ ان اليعاقبة شجبوا اثني عشر اسقفاً لبنانياً حضروا هذا المجمع، وذكر بين الحاضرين اسماء اساقفة عكا وصور وصيدا وبيروت وطبرجا وجبيل وانفـه والبترون وطرابلس وعرقا وبعلبك . ومن كلامه هذا يستدلُّ على انتشار النصرانية في

---

١) تسريح الابصار في ما يحويه لبنان من الآثار ، جزء اول ، صفحة ١٠٨ .

٢) وُلد المؤرخ ديونيسيوس التلمحري في النصف الثاني من القرن الثامن في تلّ محري، قرية على ضفاف نهر البياليج من سواعد الفرات ، قريبـة من كالنسية ؛ واتم دروسه في قنسرين مركز الثقافة قرب حلب ؛ وتسنم عرش البطريركية اليعقوبية في سنة ٨١٨ وتوفي سنة ٨٤٥ . وتاريخه محفوظ ضمن تاريخ مخائل الكبير وضمن تاريـخ ابن العبري ، ويبدأ بموريق ملك الروم سنة ٥٨٢ ، وينتهي في سنة ٨٦٥ . وهو من ثقات المؤرخين ومن ادقهم في حفظ تواريخ الوقائع . وعلى رواياته الصادقة نستند في تعيين ابتدأ بطريركيتنا المارونية وعلى مؤلفه المحفوظ في تاريخ البطريركين اليعقوبيين لمعرفة ما جرى لطائفتنا من اضطهـاد لاجل محافظتها على استقلالها وكيانها . يظهر ان العلامة الدويهي مع باقي علمائنا حتى الدبس لم يطلعوا على مخطوط التلمحري والا لكان انفتح لهم بشأن تاريخ الطائفة آفاق اوسع .

واول من عثر على مخطوط التلمحري العلامة اغناطيوس رحماني بطريرك السريـان الكاثوليك فحفظه في مكتبته مدة طويلة؛ولم يكن يفكر بطبعه حتى زاره العالم شابو وتوفق الى الحصول على هذا المؤلف النفيس فاهتم بطبعه في باريس مع مخطوطي ابن العبري ومخايل الصوري .

لبنان ، قبل عهد المجمع الخلقيدوني بكثير ، وعلى ان اغلب اللبنانيين لم يكونوا على مذهب اليعاقبة .

وذكر التلمحري عينه ان الملك انسطاس طرد سنة ٥١١ من القسطنطينية عددًا غفيرًا من الراهبات لرفضهن اعتناق البدعة اليعقوبية فقصدن لبنان واستوطن فيه. وقال يوشعاب الثالث بطريرك النساطرة المتوفى سنة ٦٦٠ : « يعترف بوجود طبيعتين في المسيح رومية العظمى وكامل البلدان الاوربية واليونان وافريقيا واورشليم وقبرس وكثيرون من فلسطين وفونيقي »[1] من هذه الادلة وغيرها يستدل على ان قسماً وافرًا من مسيحيي لبنان قبل القرن السابع ، كانوا على معتقد خلقيدونية ، وعلى لغة السريان .

ومعلوم ، من ناحية اخرى ، ان المسيحيين الذين خالفوا المعتقد الرسمي ، في الامبراطورية البيزنطية ، انسلخوا عن الكنيسة العامة واقاموا نظاماً خاصاً لهم ، كما كان شأن النساطرة على اثر مجمع افسس ، وشأن اليعاقبة في نهاية المخاصمات التي ادى اليها مجمع خلقيدونية ، وان المسيحيين الذين ظلوا محافظين على احكام مجمع خلقيدونية وموالين لسلطان بيزنطية دعوا « ملكية » . وشاعت هذه التسمية خاصة على عهد الامبراطور هرقل الذي حاول جمع شمل مسيحيي امبراطوريته في وجه الزحف المسلط عليها من ناحية الفرس ثم من ناحية العرب.

ولكن محاولة هرقل لم تقِ امبراطوريته الاحتلال، وكان ان استولى العرب على سوريا وان انشقت « الملكية » ، بمناسبة الجدال الذي خلفته سياسة هرقل الدينية ، الى موارنة[2] ومكسيمية ، وعلى هذه الفئة الاخيرة اطلقت بنوع خاص لفظة « ملكية » .

---

١) ذكر هذا الكلام السمعاني في « المكتبة الشرقية ، جزء ثالث ، صفحة ١٦١ .

٢) يذكر كتاب معتقد اليعاقبة « ان يوحنا مارون اقيم اسقفاً على البترون قبل الهجرة المارونية العامة وفي ذلك شهادة على ان اهاليها كانوا يومئذٍ من الموارنة ، كما يتحصل من شهادة مؤرخي الصليبيين القائلين ان سكان جبيل والجبة كانوا في عهدهم موارنة . ونعرف ان السمعاني استشهد « بكتاب معتقد اليعاقبة » اكثر من مرة في « المكتبة الشرقية » واعتمد عليه بما خصّ الموارنة ؛ ولشهادة الخصم شأنها كما هو معلوم .

في نشأة البطريركية المارونية

ينتسب الموارنة الى راهب اسمه مارون كتب عنه توادوريطس اسقف قورش ، في النصف الاول من القرن الخامس ، ما يلي: « عزم مارون ان يقضي حياته في العزلة فأمَّ جبلًا كان محجةً لاهل الفساد. وبعد ان كرّس لله هيكلًا كان هناك للابالس ، نصب فيه مظلة من جلود كان يتقي فيها شدّة البرد واشتهر بتقشفاته الخارقة العادة وذاع صيته في كل الاصقاع ، فاقبلت عليه الجماهير من كل صوب. وكان يشفي امراض الجسد ويعالج النفوس بادوية تناسبها حتى كثر عدد تلامذته » . واستطرد توادوريطس ذلك في تراجم هؤلاء التلامذة ففي سيرة يعقوب الناسك يدعوه « مارون الاسمى » ، وفي سيرة ملاتيوس « مارون العظيم » ، وفي سيرة دومنينا « مارون الالهي » .

وبعد وفاته في اوائل القرن الخامس تنازع اهل الجوار على جثمانه ، والذين اخذوه بنوا عليه هيكلًا. وبُني دير بعد ذلك تدريجاً ، الى جانب كنيسة جاورها جمهور من تلامذة هذا القديس .

وتذكر الآثار التاريخية التي تتعلق بالقرن السادس ان للقديس مارون ديراً كبيراً بين الاديار الكثيرة القائمة في مقاطعة افاميا في سورية الثانية وان دير القديس مارون أهمها وله الاولية عليها .

ويحق القول ان هذا الدير تأسس في الربع الاول من القرن الخامس .

ويظهر في الادلة التاريخية[1] ومن شهادات المؤرخين[2] ان هذا الدير كان ما زال قائماً في منتصف القرن الثامن ، وان خرابه كان قبل منتصف القرن العاشر ، ولعله كان الحصن الاخير للموارنة في سهول سوريا .

وفي سنة ٦٢٨ اخذت البدعة المونوتيلية في الظهور . وفي سنة ٦٤٠ اقيم مقدونيوس بطريركاً على كرسي انطاكية ؛ ولتواتر الحروب بين الروم والعرب لم يستطع أن يأتي الى انطاكية فاستقرَّ في القسطنطينية حتى وفاته في سنة ٦٤٩ . وبعد وفاة هذا البطريرك في تلك العاصمة اقيم مكانه مقاريوس الذي حضر المجمع السادس في سنة ٦٨٠ ، وحُرم لتمسكه بالمونوتيلية . وأُقيم على كرسي انطاكية بطريرك كاثوليكي يدعى توافان، اضطر ان يقيم في القسطنطينية الى يوم وفاته في سنة ٦٨٦ . وتعاقب بعده على كرسي انطاكية في العاصمة نفسها ثلاثة بطاركة لم يتمكنوا من المجيء الى انطاكية ، هم اسكندر ثم توما ثم جورجيوس الذي توفي سنة ٧٠٢. فأمسى الكرسي الانطاكي شاغراً[3] .

فلما رأى رهبان القديس مارون ، حُماة المجمع الخلقيدوني ورعاة الشعب ، ان الرعية الانطاكية ليس لها راع يرعاها ويدير عن كثب شؤونها ، أَقاموا لها بطريركاً من ديرهم ، على ماروى المؤرخ ديونيسيوس التلمحري[4] بقوله : « كان

١) ذكر العلامة « نو » انه وجد في المتحف البريطاني تحت العدد ١٧١٦٩ مخطوطاً قديم العهد اشتراه لمكتبة القديس مارون احد رهبانه سنة ٧٤٥ ، مما يدل على ان الدير كان ما زال قائماً ، وانه قد وجد في آخر المخطوط عينه كتابة ترقى في رأي المستشرق رايت، الى ما بين القرن التاسع والعاشر، تقول انه قد وهبه لكنيسة ام الله، التي للسريان في الاسقيط من بلاد مصر، راهبان اخوان من تكريت، مما يشير الى انه لم يصل اليهما الا بعد خراب هذا الدير.

٢) ذكر المسعودي ، (المتوفى سنة ٩٥٦) ان « دير مار مارون، والصوامع المحيطة به ، قد دمرت من جراء غزوات العرب وظلم السلطان » .

٣) لوكويان في «الشرق المسيحي » الجزء الثاني ص ٧٤٣ . واعمال البولنديين الجزء الرابع لشهر تموز .

٤) مقالة عاشرة فصل ٢٢

لرهبان مار مارون اسقف يقيم في ديرهم وكان هذا الاسقف بمنزلة رئيس أوجاثليق ، يرجع اليه الموارنة في امورهم . ثم عند اشتداد الخلاف بينهم وبين الملكيين أقاموا لهم بطريركاً ليحافظ على كيان امته » .

كانت بيزنطية تقيم على الكرسي الانطاكي بطريركاً يجعل اقامته في القسطنطينية ولا يقدر ان يتصل بشعبه في سورية لسبب انقطاع المواصلات بين البيزنطيين والعرب . وادركت بيزنطية ان تعيين بطريرك على هذا الشكل هو تدبير لا طائل تحته، فانقطعت عن هذا التعيين في سنة ٧٠٢ بعد وفاة البطريرك جورجيوس وأصبح بنو البطريركية الانطاكية بلا رئيس فعلي قانوني ، فداووا هذه الحالة التي أوصلتهم اليها طوارىء الحدثان باقامة بطريرك من ديرهم (على ما روى التامحري) .

وهكذا تأسست البطريركية المارونية وليس في هذا العمل أقل خلل في النظام الكنسي ؛ لان الموارنة لم يخلقوا بطريركية جديدة بل أقاموا بطريركاً لكرسي شاغر ؛ ولم يكن كرسي انطاكية خاضعاً لكرسي القسطنطينية ولا متعلقاً بها ليتولاه بطريرك قسطنطيني صنيعة القصر الملكي ، ولم تكن رومية في ذلك العهد تتدخل مباشرة في امر انتخاب الاساقفة والبطاركة ، بل كانت تترك أمر هذا الانتخاب بموجب النظم القائمة منوطاً باكليروس البطريركية . فكان رؤساء الاكليروس وزعماء الرعية وأعيانها ينتخبون بطريركاً صادق العقيدة يتولى إدارة رعيته الى ان يتسنى للحبر الاعظم ان يتعرف اليه .

وعلى هذا النمط جرت الامور منذ البدء حتى الاعصر المتأخرة ، طالما كانت المواصلات مع الكرسي الرسولي غير سهلة ولم يكن من المستطاع الحصول على التثبيت بوقت قريب. فكان البطريرك ، منتخب الرؤساء الكنسيين وزعماء الشعب، يتولى في الحال ادارة الشؤون الى ان يتيسر اثباته من قبل الحبر الاعظم. وهكذا البطاركة شمعون الحدثي وموسى عكاري ويوحنا الجاجي وغيرهم كثيرون تولوا الرئاسة مدة عشرين أو اربعين سنة أداروا في خلالها شؤون الرعية وساموا

اساقفة وعقدوا مجالس قبل الحصول علـى درع كمال الرئاسة من الكرسي الرسولي[1] .

أقام الموارنة بطريركهم حوالي سنة ٧٠٢ فلم يهن الامر على خصومهم من الملكيين الموالين الامويين فأخذوا يسعون عند الخلفاء حتى عاونوهم على انتخاب بطريرك لهم . وفي سنة ٧٤٢ سمح لهم الخليفة هشام بن عبد الملك بن مراون بانتخاب راهب يدعى اسطفان. ولكنه لم يعش الا سنتين. فسمح لهم الخليفة مروان بن محمد مروان، في سنة ٧٤٦ ، بانتخاب بطريرك اسمه توافيلوس بن قنبرة. ولما كان الموارنة قد استقلوا استقلالاً تاماً في كل امورهم الدينية وانتخبوا بطريركهم بدون اذن الخليفة ولم يشتركوا في الانتخابين المشار اليهما ، اتفق ابن قنبرة مع الخليفة على اخضاع الموارنة عنوةً ؛ ووضع مروان تحت تصرفه جيشاً ذهب به الى دير مار مارون لكبح جماح الموارنة .

قال التلمحري[2] : « في نحو سنة ٧٤٧ سمح مروان ملك العرب للملكيين فانتخبوا توافيلبوس بن قنبرة بطريركاً عليهم ، فأخـذ ابن قنبرة عسكرًا من الملك مروان لاجل اكراه الموارنة عـلى الخضوع لسلطته وأتى به الى دير مار مارون وأخذ يضايق الرهبان الكي يقبلوا به بطريركاً. وكان معه راهب متقدم في السن شديد الحماس والتعصب ، فدخل الى كنيسة الدير وضرب بيده على المذبح قائلاً: « متى تتقدس ايها المذبح النجس ؟ » وفي الحال وقع ميتاً فاستولى الخوف على ابن قنبرة وترك الدير وعاد بجيش الخليفة خاسرًا ». وقال التلمحري في المقالة المشار اليها : « وظل الموارنة يقيمون بطريركهم من ديرهم » . وقد

---

١) ولنا ان نقول: لو كان انتخاب بطريركنا الاول غير قانوني لكان الحبر الاعظم حال اطلاعه على الامر قد اطلق الحرم على المؤسسة غير القانونيـة ولكان سُجل ذلك في سجلات الفاتيكان أو دُوّن فيها حدث رجوع الفاعلين الى حضن الكنيسة كما فعل البابا مرتينوس في سنة ٦٤٩ بعد ان حرم ماسيدونيوس الذي اقامـه ملك القسطنطينية بطريركاً ولصار تسجيل هذا الحرم في سجل الكرسي الرسولي بحسب العادة المألوفة .

٢) في مقالة عاشرة فصل ٢٣ ، في تاريخ ابن العبري .

القديس مارون

(بريشة فيليب موراني . كاتدرائية مارجرجس المارونية بيروت)

القديس يوحنا مارون

(بريشة ابرهيم خليل الجر . ١٩٠١)

(رسم قديم محفوظ في روما . ١٧٠٧ ؟)

ظنّ بعضهم ان هؤلاء البطاركة سكنوا في دير مار مارون الى ان خرب الدير فبادت لائحتهم مع آثار الدير .[1]

---

١) وارتأى السمعاني والدويهي غير ذلك . جال العلامة السمعاني في كل انحاء المشرق واشترى بمال الكرسي الرسولي الكثير من المخطوطات القديمة الحاوية تواريخ الطوائف الشرقية؛ وبعد ذلك صنّف مؤلفاً ضخماً، في اربعة مجلدات كبيرة، اسماه « المكتبة الشرقية » وخصص فيه باباً لتاريخ طائفته ووضع نبذةً في نشأة بطريركيتها وسلسلة بطاركتها . وقد حقق أنهم سكنوا منذ البدء في لبنان .

وطاف الدويهي كل نواحي البلاد التي تقطنها الطائفة المارونية فقلّب الكتب في كنائسها وفي منازل وجهائها ؛ واستعان بما دوّنه النساخ في ذيول كتبهم عن الحبر الجالس على الكرسي البطريركي حينئذٍ وارتأى ان البطريرك يوحنا مارون وخلفاءه الاربعة : قورش وجبرائيل ويوحنا الثاني ويوحنا الدملصي ، كانوا مقيمين في لبنان . ولكن الاثنين لم يتعرفا الى رواية التلمحري .

وقد وجد الدويهي اسماءهم في مصدرين : اولاً في كراسة نسخها داود بن ابراهيم في سنة ١٣١٢ عن اصل سرياني قديم لا يعرف بدوّه .

ثانياً في نسخ اخرى قدمها له المطران جرجس حبقوق رئيس اساقفة العاقورة وكان قد وجدها في مكتبة كرسي اسقفية العاقورة ، أقدم الكراسي الاسقفية في لبنان والقريبة من كرسي البطاركة في يانوح والحاوية أقدم تواريخ الطائفة .

البطريرك الاول يوحنا مارون

تفيدنا شهادة التلمحري ان الموارنة بدأوا يقيمون بطريركاً من ديرهم حوالي عام ٧٠٢ ، عندما اصبح امر الرعية الانطاكية مهملاً ؛ وانه ، بعد ان حاول ابن قنبرة ، البطريرك الملكي الجديد الذي اقامه الخليفة مروان الثاني ، اخضاعهم عنوةً لسلطته في سنة ٧٤٦ ولم ينجح ، « ظلّ هؤلاء الموارنة كما كانوا في الماضي يقيمون بطريركاً من ديرهم » .

واول بطاركتهم يوحنا مارون ، ورد اسمه مع خلفائه الاربعة الاول ، في لائحة نسخها[1] داود بن ابراهيم سنة ١٣١٣ عن اصل سرياني قديم ونقلها الى اللغة العربية. وسبق القول كذلك ان البطاركة الباقين مذكورون في كتاب الرتب القديم ، فيه للشماس صلاة يذكر فيها عددًا من الرعاة ترأسوا بعد بطرس هامة الرسل وهم : اغناطيوس وتوافيل ويشوع وداود وغريغوريوس وضوميط واسحق ويوحنا واسطفانوس ومرقس واوسابيوس وداود الثاني وسمعان ومرقس .

ولا ذكر في هذه اللائحة ليوحنا مارون والاربعة من خلفائه مع انها تبتدئ من بطرس زعيم الرسل واغناطيوس تلميذه حتى العهد الصليبي . ومن عدم ذكر يوحنا مارون وخلفائه الاربعة استنتج بعضهم مثل البحّاثة الافرنسي رينودو[2]

---

١) وفاز الدويهي بمعرفة اسماء البطاركة الذين تعاقبوا بعد الخمسة الاول المذكورين على الكرسي الانطاكي حتى العهد الصليبي. رآها مذكورة في كتاب يحوي رتبة القداس ، وفيه يذكر الشماس خدمته ، عند « التوبانيات » اي التذكارات ، اسماء الرعاة الذي ترأسوا بعد بطرس على كرسي انطاكية وعددهم اربعة عشر .

ومما لا ريب فيه ان هؤلاء البطاركة الاربعة عشر هم من بطاركة الطائفة المارونية اذ لا ذكر لهم في سلسلة بطاركة اليعاقبة ولا في سلسلة بطاركة النساطرة ، وانهم اقاموا في لبنان في محلة يانوح .

٢) ولد في باريس سنة ١٦٤٦ وتوفي سنة ١٧٢٠ . واليه اشار السمعاني بقوله في الفهرست صفحة ١٩٣ : « ان يدًا اثيمة اختلست مخطوطًا عربيًا من مكتبة دوق ده توسكانا » .

عدم وجودهم. فنقول : لا ذكر كذلك في هذه اللائحة للبطريرك توافان الذي سماه المجمع السادس بطريركاً على انطاكية . ولا ذكر للبطريرك جورجيوس البطريرك الانطاكي المتوفى في القسطنطينية ، كما انه من عهد مار بطرس الى العهد الصليبي قام على انطاكية نحو ستين بطريركاً لم يذكر منهم في اللائحة سوى اربعة عشر : فهل يجوز القول والحالة هذه بان الذين لم يذكروا في هذه اللائحة ليسوا بموجودين ؟

اختُصرت اللائحة المتسلسلة عن بطرس لان المقصود منها اثبات تسلسل بطاركة انطاكية عن بطرس والدلالة على اننا متحدون به وايماننا وايمانه واحد .

لم تذكر اسماء البطاركة الموارنة الخمسة ومنهم البطريرك الاول يوحنا مارون لان الموارنة لغاية ذلك العهد ما كانوا يقصدون اثبات سلسلة بطاركتهم من يوحنا مارون فما بعد ، بل كان قصدهم ان يؤكدوا انهم متحدرون ببطاركتهم وبايمانهم عن مار بطرس هامة الرسل .

من الممكن ان تكون تلك اللائحة موسومة بهذا النقص وخالية من ذكر مار يوحنا مارون والبطاركة الاربعة الذين توالوا بعده؛ وذلك اما لسهو الناسخ واما لان هذه الخدمة لم تكن مطبوعة وموزعة على كل كنائس الطائفة ، بل لم تكن منها الا نسخة وحيدة عند بعض كهنة الطائفة ، وعلى ذلك لا يمكن اتخاذها مستنداً يعمم على الطائفة كلها . ولا يستبعد ان تكون هذه الاسماء الخمسة قد سقطت منها سهواً عند النسخ .

وليس من المستغرب ان تكون يدٌ غريبة عن الطائفة من ايدي اولئك الذين كانوا يحاربون القديس يوحنا مارون قد نسخت هذه السلسلة وأزالت منها اسمه مع اربعة آخرين حتى لا ينتبه أحد الى ذلك بسهولة . ولم تكن في تلك الايام من كتب مطبوعة للقداس وخدمته بل كان لكل كاهن مخطوطة اشترك غير واحد في نسخها ولم توافق عليها سلطة شرعية .

ومما هو معروف وثابت ان الهراطقة كانوا ينسخون احياناً كتباً مارونية

ليدسوا فيها شيئاً من سموم هرطقتهم ومبادئهم والاعتقادات الشائعة بين ظهرانيهم [1].

ثم ان « يوحنا مارون البطريرك الانطاكي » مذكور كذلك في « كتاب الهدى »[2] ففي القانون الاول منه جاء ان المسيحيين متفقون في الاعتقاد بوحدة اللاهوت ، وتثليث الاقانيم ، وتجسد الابن من جوهر الآب الازلي بلاهوته ومن جوهره هو بناسوته ؛ ولكنهم اختلفوا كيف كان الاتحاد وبسبب ذلك افترقوا الى عدة فرق : واول فرقة هي الفرقة المنسوبة الى اريوس وتدعى الاريوسية ، ثم المنسوبة الى نسطور وتدعى النسطورية ، والمنسوبة الى يعقوب البرادعي وتدعى اليعقوبية ، والمنسوبة الى قسطنطين بن هرقل الملك وتدعى الملكية ، واخيراً المنسوبة الى مارون يوحنا بطريرك انطاكية العظمى وهي المارونية .

---

١) وان ليوحنا مارون ذكراً في وثيقة يعقوبية هي « كتاب معتقد اليعاقبة » . فقد جاء فيها ان الموفد البابوي المرسل لدعوة المشاقين الى الايمان القويم ، اقام يوحنا مارون اسقفاً على البترون ليحفظ اللبنانيين في الايمان الكاثوليكي ، وكان ذلك في سنة ٦٧٦ . وان يوحنا مارون صرّح عند ترشيحه الى هذا المقام بقوله : « نخاف على لبنان من ان يجتذبه الملكيون الى امانتهم » . وكثيراً ما استشهد السمعاني ، في المكتبة الشرقية ، بكتاب « معتقد اليعاقبة » .

٢) « كتاب الهدى » عبارة عن مجموعة قوانين كنسية كانت دستوراً للطائفة المارونية وغيرها . ترجمه الى العربية في سنة ١٠٥٨ عن اصله السرياني القديم جداً المطران داود الماروني الحلبي وصرح في المقدمة بانه انما اضطر الى ترجمته لان الشعب الماروني اصبح لا يحسن فهم لغته الاصلية وبالاستناد الى هذه العبارة فُهِمَ ان تأليفه بالسريانية كان في اواخر القرن التاسع . اما مؤلفه فمجهول . وقد وصل الينا من هذا الكتاب عدة نسخ اقدمها عهداً نسخة نقلها السمعاني من لبنان الى رومية وهي محفوظة في المكتبة الڤاتيكانية تحت العدد ١٣٣ . فاعتمادنا كله على هذه النسخة الاولى التي جاءت على ذكر « مارون يوحنا بطريرك انطاكية العظمى » ، لا على النسخ التي جاءت بعدها وقد لعبت بها الايدي . فاغفلت سهواً او عمداً ذكر يوحنا مارون ، وعندنا ان ذلك لا عبرة له اذ لا يصح الأخذ الا بالنسخة الاولى وهو مذكور فيها وقد كان الذين ذكروه في اواخر القرن التاسع اي من المعاصرين لاحفاد معاصريه لانه ظل عائشاً حتى اواخر الربع الاول من القرن الثامن فكانت وفاته سنة ٧٢٠ وعليه يكون مدوّنو اخباره ممن تناقلوها ابّاً عن جد كما نتناقل نحن اليوم اخبار البطريركين اسطفان والتيان او الاميرين يوسف وبشير وسعد الخوري وغيرهم من رجالات القرن الماضي .

غير ان هذا البطريرك لم يتمكن من الاقامة في كرسي مدينة انطاكية لاستيلاء العرب عليها .

ولا نستغرب عدم ذكر يوحنا مارون في كتاب ما طوال القرنين الثامن والتاسع ، اذ انه منذ اواخر القرن السابع الى القرن الحادي عشر لم يظهر اي اثر تاريخي لكاتب ماروني يبحث فيه شأناً من شؤون الموارنة ، مع انــه لا يُقدّر أَن الموارنة في هاتيك العصور النائية،وقد كان لهم رهبان دير مار مارون والاساقفة فالبطاركة الذين كانوا يحسنون النضال عن عقيدتهم،لم يكتبوا شيئاً في هذا الموضوع . انما نقول ان طوارئ الحدثان قد طمست آثار الاقدمين.فباد التاريخ الكبير الذي ذكره ابن العبري لتيوفيل الرهاوي الماروني ، والتاريخ الذي ذكره المسعودي لقيس الماروني ، والرسائل التي بعث بها رهبانُ الموارنة الى بطاركة النساطرة ، وبادت المكتبة التي كانت في دير مار مارون على ما جاءَ في احد الكتب السريانية المحفوظة في المتحف البريطاني .

ولا نعلم في اي تاريخ بدأ الموارنة يكرمون بطريركهم الاول اكرامهم للقديسين . انما الاكيد ان بطاركة الطائفة عيّنوا لهُ عيدًا سنويًّا في التاسع من شهر شباط نقل بعد ذلك الى الثاني من شهر آذار .

وفي سنة ١٦٢٤ صدر امر البابا اوربانوس الثامن بترجمة الشحيم السرياني الى اللغة اللاتينية ، وكان البابا بيوس الخامس قد اثبته في سنة ١٥٧٢ ، وطبع في رومية .وكان يحوي تذكار القديس يوحنا مارون وصلوات فرضية تتلى يوم عيده في الكنائس من زمن لا يعرف بدؤه .

وللقديس يوحنا مارون ذكر في خدمة القداس المطبوعة في سنة ١٥٩٦ . وقد لقّبه اصحاب النوافير: « بالفم الناطق بصدق الايمان » و « بعمود البيعة المقدسة » و « بينبوع الروح القدس » . وتكرر ذكره في القداس في نافور عُرف باسمه .

ترجمته مدونة في سنكسار قديم محفوظ في خزانة الفاتيكان تحت العدد ٢٧ و ٢٨ ؛ ولكن الزمن الذي خط فيه هذا السنكسار غير معروف بالضبط .

البطاركة حتى القرن الحادي عشر

قورش وجبرائيل ويوحنا مارون الثاني والدملصي

خلف يوحنا مارون على الكرسي البطريركي الانطاكي ابن اخته قورش ، وكان قد ترهب مثله في دير مار مارون العاصي وفيه تثقف في العلوم العالية من فلسفية ولاهوتية وطبيعية .

وتعاقب على هذا الكرسي المقدس البطاركة جبرائيل ثم يوحنا مارون الثاني ثم يوحنا الدملصي .

جاء في المقالة السمعانية انه في عهد البطريرك جبرائيل عاد الملكيون بعد وفاة يوستينيان الاخرم الى الاعتقاد بالطبيعتين والمشيئتين في السيد المسيح ، وانتخبوا لهم بطريركاً جعل اقامته في دمشق ، وان يوحنا مارون الثاني كان من رهبان ديرمار مارون العاصي، ولما أُقيم بطريركاً قصد السكن في انطاكية لكنه لم يستطع الاقامة فيها لمناوأة العرب له ، فجاء وسكن في لبنان في دير سيدة يانوح ، في جبة المنيطرة قرب العاقورة . وقال السمعاني ولولا كوبا: ان هذا البطريرك لما شعر بدنو اجله أخلى الكرسي ليوحنا الدملصي، وهو السابع والستون بعد مار بطرس والخامس بعد يوحنا مارون الاول . ثم قال السمعاني : انه في عهد البطريرك الدملصي التأم مجمع نيقية الثاني ضد بدعة محاربي الايقونات(٧٨٧) ولم يتمكن هذا البطريرك من حضوره بدليل قول آباء المجمع في الجلسة الثالثة ان بطاركة الشرق الثلاثة لم يكن باستطاعتهم الحضور لقساوة العرب المستولين عليهم ، لكنهم لم يتأخروا عن ارسال نواب عنهم . اما البطريرك القسطنطيني فكان حاضرا .

غريغوريوس الاول : جاء في المقالة السمعانية انه السادس بعد يوحنا مارون الاول وان الصلح عُقد في ايامه مع هارون الرشيد باهتمام الملكة إيرينه. وتسنّى لهذه الملكة تأييد الديانة المسيحية بمساعدة هارون الرشيد حليفها[1] .

اسطفانوس : البطريرك السابع بعد يوحنا مارون الاول .

مرقس : البطريرك الثامن .

اوسابيوس : البطريرك التاسع الذي سماه السمعاني « حوشب » وقال ان فوتيوس تغلّب في عهده على اغناطيوس بطريرك القسطنطينية .

يوحنا الرابع : هو البطريرك العاشر . جاء في المقالة السمعانية انه في عهده تفاقم الخلاف بين الكنيستين الشرقيـة والغربية بسبب اغتصاب فوتيوس السدة البطريركية ، فعُقد المجمع القسطنطيني في السنة الـ ٨٦٩ باهتمام الملك باسيليوس. ولم يتمكن بطاركة الشرق من الحضور فأرسلوا قصادًا من قبلهم[2] .

يشوع الاول : هو البطريرك الحادي عشر .

داود : هو البطريرك الثاني عشر .

غريغوريوس الثاني : هو البطريرك الثالث عشر. في ايامه كانت بلاد الشام على اسوأ حال بسبب انحطاط دولة العباسيين[3] .

نوافيليكنوس :هو البطريرك الرابع عشر واسمه في المقالة السمعانية حبيب. وفي هذه المقالة ان نيكوفور اتى في سنة ٩٦٢ من القسطنطينية وأخذ سورية .

---

١) كتاب قطف الزهور ، قسم اول من العرب ، ص ١٠٧ .
٢) كتاب تاريخ البدع ، رأس ٩ عدد ٩ .
٣) قطف الزهور ، قسم اول ، ص ١١١ .

ومدن لبنان وفتح مدينة طرابلس وما جاورها من القرى التي تقطنها المردة ، كما يتضح من رسالة شمشمق قائد جيوشه الى ملك ارمينية. فبعد ان اوضح له ما ابداه جنوده من بسالة في فتح المدينة قال: «لا يسعنا الا الاقرار بأننا اتلفنا كل ما جاور طرابلس وذبحنا الحيوانات وابدنا الكروم وقطعنا الاشجار».

يشوع الثاني: هو البطريرك الخامس عشر. في ايامه استرجع العزيز بالله ابو النصر ، احد الخلفاء الفاطميين في مصر ، مدن لبنان من نيكوفور فوكا سنة ٩٧٥ . وفي عهده استتب الامن ، وهو الوحيد من الفاطميين الذي سلك مع النصارى مسلكاً جعل نعمان قساطلي يقول: « انه في عهده تمتع النصارى بتمام الحرية ، وفُتح لهم باب الترقي في سلك المناصب »[1] .

دوميط: هو البطريرك السادس عشر. في عهده ظهر مذهب الدروز في لبنان سنة ١٠١٧ وانتشر في وادي التيم وامتد الى المتن وحوران .

اسحق: هو البطريرك السابع عشر .

يوحنا الخامس: هو البطريرك الثامن عشر. في ايامه ظهر المطران داود ، اشهر علماء عصره وهو الذي ترجم كتاب الهدى او الناموس من السريانية الى العربية في سنة ١٠٥٨ .

سمعان: هو البطريرك التاسع عشر. في تلك الحقبة كان الموارنة معتصمين بجبالهم ، محافظين على استقلالهم الداخلي ؛ وشعر سكان الشوف والجنوب والسواحل والسهول ان البلاد صارت بلادهم فاخذ فريق منهم يتعامل مع الغزاة بما يوافق مصالحه وتمكن من المحافظة على كيانه اسوة بالموارنة .

---

١) تاريخ مصر ، باب اول ص ٤٢١ .

بطاركة القرن الثاني عشر

يوسف الجرجسي: جلّ ما نعرف عنه ما جاءَ في المقالة السمعانية من أنه في السنة الـ ١١٠٠ كان مقيماً في يانوح. في عهده اجتمع أمراء الفرنج واساقفتهم وانتخبوا دابرنوس بطريركاً على اورشليم، وهو الذي مسح غودفروا فاتح القدس ملكاً على هذه المدينة المقدسة، وأُقيم برنردوس بطريركاً على انطاكية وهو الذي مسح بيوموند أميرًا على هذه المدينة. وارسل هذا البطريرك الى الحبر الاعظم رسالة اعرب فيها عن شديد تعلقه بالسدة الرسولية فحظي بجواب مؤرخ في السنة الـ ١١١٩ وقف عليه الدويهي والباني في خزانة البطريركية[1].

قال المؤرخ الفرنسي راي[2]: «ساهم الموارنة في فتوحات الصليبيين واستمروا على عاداتهم يحكمهم اعيانهم على طريقة الاقطاعيين، ومرجعهم بطريركهم. وكان يدير الطائفة المارونية في سنة ١١٠٠ البطريرك يوسف الجرجسي الذي في عهده استعمل الموارنـة النواقيس بدلًا من آلات الخشب. وفي ١١١١ ردَّ الملك بلدوين جيوش العجم وبغداد بمساعدة الموارنة وبطريركهم. كذلـك في سنة ١١١٧ اخذ محلة فاران على نهر النيل واسترجع طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وعكا وحيفا وبانياس وحصن عكار وحصن المنيطرة وحصون حلب وحاران من بلاد الرها وتعزز دين النصارى».

كان الموارنة احرارًا في ادارة شؤونهم الداخلية الروحيـة والزمنية برئاسة بطريركهم. وقد حافظ الصليبيون على امتيازات البطريـرك الماروني واحترموه، اذ رأوا فيه رئيساً دينيًا وسياسياً لامته ومثلًا لوحدتها القومية.

---

١) كتاب سلاح الايمان، ص ٦٧ و٦٨ . والدويهي في كتاب الاحتجاج، ص ٥٤ .

٢) تاريخ المستعمرات الفرنسية، ص ١٢ .

وكما استفاد البيزنطيون من بسالة الموارنة لردّ حملات معاوية عن القسطنطينية استفاد الصليبيون من شجاعتهم ودربتهم في فتح المدن والاستيلاء على اورشليم. وعندما وصل جنودهم من ارمينية الى انطاكية ثم الى جبـال العلويين والرها ومعرة النعمان وسهل البقاع من جهة والى طرابلس والشواطئ اللبنانية من جهة ثانية نهض الموارنة لمعونتهم على رجاء الاستعانة بهم، بعد ان يستقر بهم المقام، من المظالم التي كان ينزلها بهم الحكام الوطنيون .

وقد توفي البطريرك الجرجسي سنة ١١٢٠ في دير سيدة يانوح ودفن فيه .

بطرس الاول : قال السمعاني ان بطرس الاول انتخب في سنة ١١٢١ وترك يانوح وسكن في دير سيدة ميفوق. والامر ثابت مما كتبه هذا البطريرك بخط يده ومفاده : ان قد حضر امامه الى دير سيدة ميفوق القس سمعان وسمّاه رئيساً على دير قبرس .

وفي عهد هذا البطريرك في السنة الـ ١١٢٢ قدم من بلاد الترك الامير فارس ليحتل انطاكية، فخرج لمحاربته بلدوين ملك القدس وكان النصر حليفه.

غريغوريوس الحالاتي : قال العلامة مرهج بن نمرون الباني، في كتاب سلاح الايمان، ان هذا البطريرك ارسل في سنة ١١٣١ وفداً ليهنىء البابا زخيا الثاني بارتقائه الى السدة البطرسية ويلتمس له درع كمال الرئاسة .

وقال الدويهي[١] : « قدم الى الامصار الشامية الكردينال غوليلموس حاملاً الى البطريرك غريغوريوس درع كمال الرئاسة مع رسالة يطلب بها منه ان يوقع صك الاعتراف بصحة انتخاب البابا زخيا الثاني واداء يمين الطاعة له. وذلك لانه بعد وفاة البابا اوربانوس الثاني انتخب زخيا في سنة ١١٣٠، غير انه قام فريق بانتخاب المدعوا نقليطوس بتأثير ضغط شديد من قبل زعماء رومانيين » .

١) كتاب ردّ التهم، ص ٣٠٦

ولما رأى البابا زخيا ما كان من خيانة الرومانيين شخص الى فرنسا وعقد في مدينة كليرمون مجمعاً حضره كل اساقفة فرنسا ومعهم القديس برنردوس . وبالتحقيق المدقق ظهرت صحة انتخاب البابا زخيا الثاني،عندئذٍ تقدم ملك فرنسا وقبّل يديه مع الملكة واولادهما ، ثم خضع له هنريكوس ملك الانكليز واعترفت به الامصار الفرنسية والانكليزية والاسبانية والالمانية . وبعد ذلك قدم الى الاقطار الشرقية ثم الى لبنان الكردينال المشار اليه ، وعلى يده حلف بطريرك الموارنة واساقفته اليمين المطلوبة ووقعوا بذلك صكاً حُفظ في خزانة الڤاتيكان مع الصكوك التي وقعها اساقفة الشرق والغرب .

يعقوب الراماتي : من رامات ، قرية قريبة من دير كفيفان . جعل اقامتـه في دير ميفوق . وفي عهده توفي في سنة ١١٤٠ القس عبدالله أبو الفرج الماروني المعروف بابن الطيّب ، ترجم الانجيل وشرح كتب ارسطو في المنطق وكتب جالينوس في الطب ، وقد قال فيه جمال الدين القاضي: انه احيا من هذه العلوم ما قد دثر وأبان ما خفي. وشهد ابن بطلان الطبيب النصراني البغدادي، تلميذ ابن الطيّب هذا ، بأن معلمه لبث عشرين سنة يُجهد فكره في تفسير ما وراء الطبيعة وفي آخر حياته اعترف بانه خُدع بترهات ابن بطريق .

وفي سنة ١١٤١ عين هذا البطريرك الراهب دانيال رئيساً على دير قبرس. وتوفي في خلال ١١٥١ .

يوحنا اللحفدي : هو الاول من لحفد ، انتخب سنـة ١١٥١ ، وجعل كرسيه في مسقط رأسه قرية لحفد. سام اربعة اساقفة لمعاونته في خدمة الشعب، سكن احدهم في دير مار حوشب والثاني في دير مار سمعان والثالث في دير مار اليشاع والرابع في دير السيدة، وسكن هو في دير مار الياس وكل هذه الاديار في ارض لحفد. ثم انتقل من دير مار الياس لحفد الى دير سيدة هابيل القريب

من عبادات وشامات ولا ندري ما هو سبب هذه النقلة .

سام اربعة اساقفة لمساعدته في ادارة شؤون الطائفة ولم يكن في تلك الايام من تقسيم قانوني للابرشيات فكان البطريرك يدير الطائفة ويشرف على ادارة كل مطران بملء سلطانه . وكان الموارنة يلتفون حول أسيادهم الاقطاعيين ويستمدون الاوامر من بطريركهم قائد الشعب وصاحب المشورة والامر والكلمة النافذة ، لا تعلو سيادته سيادة ، شأنه في ذلك شأن أساقفة كانوا غالباً حماة للدين والوطن .

قال السمعاني[1] ان البطريرك يوحنا اللحفدي ألَّف نافورًا كان محفوظاً في الكرسي في دير قنوبين. واضاف انه كان ذا حزم ، فصيح اللسان ، ماهرًا في تفسير آيات الكتاب المقدس وفي تحليل رموزه ، حاذقاً في علم القانون الكنسي، كثير الاهتمام في تنظيم الرتب والطقوس البيعية .

بطرس الثاني : سكن دير ميفوق الى ان تمَّ بناء كرسي هابيل . وجد ذكره العلامة السمعاني على هامش انجيل محفوظ في المكتبة الماديشية (ص ١٨ سطر ٢٣) حيث يقول : « حضر امامي انا بطرس بطريرك انطاكية الراهب اشعيا فسميته رئيساً لدير قبرس » .

١) المكتبة الشرقية ، مجلد اول ص ٥٢٢ .

بطاركة القرن الثالث عشر

ارميا العمشيتي : انتخب في دير سيدة يانوح سنة ١٢٠٠ .

في عهده ارسل البابا زخيا الثالث معتمداً من قبله الى انحاء المشرق ، هو الكردينال بطرس ، قسيس كنيسة القديس مرشلس . وعلى يد هذا القاصد الرسولي جدد البطريرك والاساقفة يمين الطاعة للحبر الاعظم[1] .

ان تجديد يمين الطاعة للحبر الروماني حصل لاول مرة في سنة ١١٣١ في ايام البطريرك غريغوريوس الحالاتي ، وثاني مرة في سنة ١١٨٠ على يد هيميريك البطريرك اللاتيني ، والمرة الثالثة على يد الكردينال بطرس في عهد البطريرك ارميا العمشيتي . فلا نجهل ما جرى لكنيسة رومية من بلابل اسبب ما حصل منذ الربع الاول من القرن الثاني عشر حتى الربع الاخير منه من خلافات على رئاسة الكرسي الرسولي . وما استقر امر هذه الرئاسة في سنة ١١٧٧ حتى اخذ البابا اسكندر الثالث يطلب من الاساقفة اداء يمين الطاعة لنائب المسيح واشترك الموارنة مع الافرنج في حلف هذه اليمين في سنة ١١٨٠ ، فعدَّ غليام الصوري ذلك رجوعاً عن ضلال . في تلك الايام انحصر هم رومية في اخذ عهود الطاعة فضاً للمشاكل ، وبعد ان ارتاحت من تلك المشاكل ارسل البابا زخيا الثالث الكردينال بطرس لتفقد شؤون الموارنة فوجدهم خاضعين للكرسي الرسولي .

وفي ١٣ نيسان من سنة ١٢١٣ ارسل هذا البابا نفسه الى البطريرك ارميا المذكور دعوة لحضور مجمع سيعقد في رومية في بداءة شهر تشرين الثاني من سنة

---

١) وبعد ذلك في سنة ١٢٠٤ عاد هذا الكردينال الى رومية ، على ما هو مذكور في سجلات الفاتيكان . ومن هنا تبين ضلال القائلين بان انتخاب البطريرك ارميا انما كان في سنة ١٢٠٩ .

١٢١٥ . وفي براءة هذه الدعوة ذُكر ان الغاية من عقد هذا المجمع هي اعداد حملة صليبية لاجل استرجاع الاراضي المقدسة واجراء اصلاحات عامة في الكنيسة.

ومن ثم تبين ضلال من قال: لو كان الموارنة خاضعين لرومية قبل اواخر القرن الثاني عشر لكان البابا كاتبهم على الاقل مرة واحدة قبل رسالة زخيا الثالث سنة ١٢١٦ فكيف لم يذكروا ان هذا البابا نفسه كتب الى البطريرك ارميا رسالة مؤرخة في ١٣ نيسان سنة ١٢١٣ ، وكيف لم يذكروا ان الموارنة ادوا يمين الطاعة للحبر الروماني سنة ١١٣١ في ايام البطريرك غريغوريوس الحالاتي ، ثم في سنة ١١٨٠ واذا قالوا انه كان قد حدث شقاق بين رومية والموارنة في خلال فترة قصيرة تتراوح بين سنة ١١٨٠ و١٢١٣ فهذا قول بعيد عن الصحة لانه لم يقم كما يزعمون بطريرك غير مستقيم الايمان يدعى لوقا . جل ما هناك ان لوقا المشار اليه حاول ان يغتصب السدة البطريركية فلم ينجح. وبقيت هذه السدة يتعاقب عليها بطاركة خاضعون لامهم كنيسة رومية .

وفي سنة ١٢١٣ وصل البطريرك ارميا الى رومية ومكث فيها مدة طويلة. ويروى ان المحادثات التي اجراها هناك تناولت الحملة الصليبية ومـا يستطيع بطريرك الموارنة ان يقدمه لرجالها من مساعدات بالمال والرجال ؛ ودُرست خطط الدفاع وطرق المحاماة عن سلامة الايمان في الشرق وقد كثرت فيه البدع وتعددت الاضاليل .

عُقد المجمع في اول تشرين الثاني من سنة ١٢١٥ وحضره اربعمائة واحـد عشر اسقفاً من بلدان الشرق والغرب واتخذت فيه تقريرات وتحديدات منها تحول جوهر الخبز والخمر الى جسد المسيح بقوة كلام التقديس مع بقاء الاعراض على حالها.

وفي سنة ١٢١٦ بعد انفراط عقد المجمع ورجوع البطريرك ارميا الى لبنان، وردت عليه براءة من البابا زخيا الثالث نفسه موجهة اليه والى جماعة الروم الذين يشهد التاريخ بأنهم انضموا الى الموارنة وابرزوا يمـين الطاعة لرومية امام الكردينال بطرس[1] .

١) مما جاء في تلك البراءة قول البابا: « عندما ارسلنا الى نواحيكم الكردينال بطرس

عاش هذا البطريرك بعد رجوعه من روميه خمسة عشر عاماً وكانت وفاته في سنة ١٢٣٠ .

دانيال الشاماني : صار انتخابه سنة ١٢٣٠ على ما ذكره يوحنا بن يعقوب البشراوي ، على هامش فنقيط كان محفوظاً في كنيسة مار سابا بشري . سكن في دير مار قبريانوس كفيفان ثم نقل الى قرية الكفر ثم الى دير مـار مارون كفرحي ومكث فيه حتى مات .

اجتمع لديه زعماء البلاد واتفقوا على توحيد كلمتهم لتوطيد اركان الامن في لبنان. ومن ثم انتفت البلابل وعكف الناس على أعمال الزراعة وقطع الادغال وحفر القنوات وتشييد الكنائس. وساد الامان الى ان استعرت نيران الحرب بين نواب الشام والمصريين ، فامتاز البطريرك بما ابداه من مرونة في السياسة محافظةً على حقوق لبنان ومن الاهتمام في تخفيف ويلات الشعب واغاثة المنكوبين.

في عهده توفي نيقيطا الماروني ، وله تأليف نفيس في قضيـة انبثاق الروح القدس من الاب والابن .

رجعتم الى راعيكم الحقيقي واقسمتم امامه يمين الطاعة للكنيسة الرومانية » .

فهل يتحصل من ذلك ان الموارنة كانوا سابقاً غير كاثوليكيين ؟ لا لعمري . ويتضح الامر من استطراد البابا في البراءة نفسها الكلام التالي موجهاً الى البطريرك ارميا :

« بعد اثبات ما كان معروفاً لك ولاسلافك ايضاً في الكنيسة الانطاكية من العادات المألوفة نسمح لك ولخلفائك باستعمال الباليوم » .

اليس في هذا الكلام برهان صريح على ان بطاركة الموارنة الذين سلفوا ارميا كانوا ذوي حقوق ممتازة ومحسوبين وطائفتهم من الكاثوليكيين ؟

اجل لان البراءة لم تكلفهم رفض هرطقة ما على ما كانت الكنيسة تطلبه من العائدين الى حضنها ، ولكنها اقتصرت على تكليفهم ابراز يمين الطاعة وهو ما كانت تطلبه من كل اسقف كاثوليكي عند اللزوم .

اما ما جاء عن الرجوع الى الراعي الحقيقي فقد قصد به ولا ريب جماعـة الروم الذين اشركهم البابا والموارنة في رسالته ، كما كانوا هم قد شاركوهم في ابراز يمين الطاعة لرومية امام الكردينال بطرس .

وقد اختلف المؤرخون في تعيين السنة التي توفي فيها هذا البطريرك .

يوحنا الجاجي : ذكر السمعاني في مقالته انه خلف البطريرك دانيال وانه ارسل الى دير قبرس ثلاثمائة دينار وحُقًا للميرون .

شمعون الثاني : ذكر الدويهي انه انتخب في سنة ١٢٤٥ .وقال في تاريخه العام ان البابا اسكندر الرابع ارسل اليه درع كمال الرئاسة مع براءة التثبيت مؤرخة في سنة ١٢٥٦ . وقال انه قد رآها في خزانة قنوبين . وله ذكر في المجمع اللبناني[١] .

في عهده حلّ لويس التاسع ملك فرنسا في قبرس ثم انتقل بجيشه الى القطر المصري حيث خانه الحظ ووقع اسيرًا ففدى نفسه ورجاله بالمال. ثم توجه بعسكره الى فلسطين ومـا كاد يصل الى عكا حتى هرع لنجدته خمسة وعشرون الفًا من الموارنة بقيادة الامير سمعان ؛ فكتب الملك الى البطريرك رسالة .

ولما غُلب الفرنجة على امرهم في هـذه البلاد لجأوا الى البطريرك شمعون فاستقبلهم بكل ترحاب وقد وجه اليه البابا اسكندر الرابع كتـاب شكرٍ واوصاه بان يعتبر هؤلاء الفرنجة كاولاده واولاه من التفويضات ما يلزم لخدمة هؤلاء اللاجئين الروحيّة .

قال المطران نقولا مراد الجزيني : « وجدت بطاقة الملك لويس هـذه في خزانة الكرسي البطريركي في قنوبين مترجمةً عن الاصل اللاتيني الى الفرنسية والعربية ، اما الاصل فكان قد فُقد مع ما فقد من اوراق الكرسي البطريركي بسبب طوارئ الحدثان » .

---

١) قسم ٣ باب ٦ ص ٤٣١ ، بعد ذكر البطريرك السابق .

البطريرك ارميا العمشيتي

(رسم قديم محفوظ في روما . ١٧٠٧ ؟)

١ البطريرك سركيس الرزّي — ٢ البطريرك جرجس عميره
٣ البطريرك اسطفان الدويهي — ٤ البطريرك مخائيل فاضل
٥ البطريرك يوسف حبيش — ٦ البطريرك بولس مسعد
٧ البطريرك يوحنا الحاجّ

(لوحة مأخوذة عن « سلسلة بطاركة الطائفة المارونية » للدويهي.
نشرها رشيد الخوري الشرتوني . ١٩٠١)

يعقوب: لم يعرف زمن وفاة البطريرك السابق شمعون ولا من الذي خلفه لولا كتابة نقشت على عتبة دير سيدة ميفوق فيها: ان البطريرك يعقوب اتمَّ في سنة ١٢٧٦ بناء الدير. فمن الثابت ان يعقوب هذا بطريرك كان مقيماً في ميفوق في هذا الدير كرسي البطاركة قبل تجديدهِ وبعده.

دانيال من حدشيت: لم يعرف تاريخ انتخابه. وُجد في المكتبة الماديشية حاشية على هامش انجيل كتبها ارميا الدملصي مفادها انه في سنة ١٢٧٨ سامه البطريرك دانيال الحدشيني اسقفاً على دير كفتون القائم على ضفة النهر. وبعد مرور اربع سنوات على سيامته دعا هوغو دي لامبرياك، امير جبيل التابعة كونتية طرابلس الى اجتماع حضره الاساقفة والخوراسقفيون والكهنة والاعيان وانتخبوه (اي ارميا الدملصي) بطريركاً.

اثبت البابا نقولا الثالث البطريرك الحدشيتي في سنة ١٢٨٠ وامره بان يتخذ الميرون من زيت الزيتون ومن دهن البلسم لا غير، وكان من قبلُ يُصنع من اثنتي عشرة مادة من الادهان رمزًا الى اثنتي عشرة فضيلة. وله ذكر في كتاب تقديس الميرون الذي نسخه القس حنا من حجولا وقال في ذيله: «كان النجاز منه في سنة ١٢٨٠ في ايام الاب المختار دانيال من حدشيت».

البطريرك دانيال والمماليك: قضى المماليك على الصليبيين في سورية واخذوا يستعدون للقضاء عليهم في لبنان. وفي سنة ١٢٦٤ زحف الملك الظاهر على عرقة وطرابلس فانقضَّ عليه الموارنة من الجبال وهزموه. وفي سنة ١٢٦٦ اخذ يافا وقلعة الشقيف واعادَ الكرة على طرابلس فهزمه الموارنة ثانيةً. فانسحب الى انطاكية وفتحها بعد معركة قُتل فيها اربعون الفاً من جيشه ومن الصليبيين.

ثم زحف السلطان قلاوون من مصر وحسام الدين من الشام على طرابلس فاخذاها بعد حصار دام ٣٣ يوماً. وعندئذٍ تسنّى لجيوش المماليك الزحف على

بلاد الجبه وتمكنوا من اخذ حصرون وبقوفا والحدث، وبدأوا في حصار اهدن.

قال ابن الحريري في تاريخ سنة ١٣٠٠ : « لم يتمكن المماليك ان ينتزعوا طرابلس من ايدي الصليبيين الا بعد ان اجهزوا على مقاومة حلفائهم الموارنة. عندئذٍ زحفت جيوشهم الجرارة في اوائل سنة ١٢٨٢ على بلاد الجبّة فقاد رجال الدفاع بطريرك يدعى دانيال من حدشيت بنفسه، واوقف جيوش المماليك امام اهدن اربعين يوماً، ولم يتمكنوا منها الا بعد ان امسكوه بالحيلة » . ثم قال هذا المؤرخ : « لقد تجبَّر البطريرك الحدشيتي واستطال وتكبّر واستغوى اهل تلك الجبال وتحصن فيها وشمخ بانفه فقصده التركمان واحتالوا عليه فأمسكوه وكان إمساكه فتحاً عظيماً، اعظم من افتتاح حصن او قلعة. وكفانا الله شره ».

ارميا الدملصي : انقطعت اخبار البطريرك الاسير الحدشيتي ولم يعد من ريب في ان قد قُضي عليه في اسره . عندئذٍ رأى امير جبيل هوغو لامبرياك، ان ينعقد اجتماع الاساقفة والكهنة والرهبان واعيان الامة في جبيل ليصير هناك انتخاب بطريرك الطائفة بتمام الحرية، فاجتمعوا وانتخبوا إرميا الدملصي على ما كتبه هو بخط يده على هامش انجيل محفوظ في المكتبة الماديشية[1] قال: « في سنة ١٢٧٨ في اليوم التاسع من شهر شباط انا الحقير ارميا من قرية دملصا اتيت الى دير سيدتنا مريم في ميفوق في وادي ايليج من عمل البترون ورسمني البطريرك دانيال بيديه المقدستين مطراناً على دير كفتون المقدس الذي على ضفة النهر وبقيت هناك اربع سنوات . وكان سكان الدير المذكور حزقيال ورفيقه اشعيا ودانيال ويشوع وايليا وداود وغيرهم وجملتهم اثنان وثلاثون راهباً. وبعد انقضاء السنين الاربع طلبني امير جبيل والاساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة والقوا قرعةً فاصابتني وصيروني بطريركاً في دير حالات المقدس ثم ارسلوني الى رومية العظمى وتركت أخانا المطران توادورس يدير الرعية ويهتم بشؤونها ».

١) حاشية سريانية على ورقة ١٧ من كتاب الاناجيل المحفوظ تحت الرقم ١ في المكتبة الماديشية في فلورنسة (ايطاليا) .

قديماً لم يكن علماء الموارنة يميزون بين ارميا العمشيتي وارميا الدملصي ولا يعرفون سوى بطريرك واحد باسم ارميا يقال له تارة ارميـا العمشيتي وتارة الدملصي ، لاعتقادهم ان دملصا هي تابعة لعمشيت او هي جزء منها . وكثيراً ما ينسب الى الجزء ما هو للكل مع ان دملصا ليست جزءاً من عمشيت ولا تابعة لها ؛ بل هي قرية غير قرية عمشيت تبعد عنها نحو ساعتين مشياً ، وكانت في القديم بلدة ذات شأن تدل على ذلك الآثار الباقية فيها ، ومنها قام البطريرك يوحنا الدملصي الخامس بعد يوحنا مارون .

فيكون هناك بطريركان احدهما يدعى ارميا العمشيتي[1] والاخر ارميا الدملصي[2] . توفي هذا الاخير بعد ارميا العمشيتي بنحو نصف قرن والبطريركان شخصا الى رومية الامر الذي كان سبباً للخلط بينهما[3] غير ان ذهاب العمشيتي الى رومية انما كان لحضور المجمع اللاتراني الرابع ، اما ذهاب الدملصي فانما كان لزيارة الاعتاب الرسولية .

في عهد البطريرك الدملصي دخل الافرنج في سنة ١٢٩٠ الى عكا . فجهز الملك الاشرف العساكر المصرية وانضم اليه نائب الشام وصاحب حماه وحاصروا عكا فخربوها ثم اخذوا بيروت ودكوا قلعتها وجعلوا كنيسة مار يوحنا فيها جامعاً ؛ واستولوا على صور وجبيل . وخلت السواحل من الافرنج بعد ان كادوا يبسطون سلطانهم على الشام والديار المصرية . ومنذ سنة ١٢٩٠ لم يبق من البلدان التي فتحها الصليبيون الا جزيرة قبرس .

ورقد البطريرك ارميا الدملصي بالرب في سنة ١٢٩٧ بعد ان شهد نجم الصليبيين يتوارى عن الانحاء المشرقية .

---

١) امتدت بطريركيته من سنة ١٢٠٠ الى ١٢٣٠ .

٢) من ١٢٧٢ الى ١٢٩٧ .

٣) راجع ما كتبه بهذا الشأن المرحوم الخوراسقف بولس قرألي بعد سفره الى فلورنسة واطلاعه فيها على الحاشية السريانية الانفة الذكر .

بطاركة القرن الرّابع عشر

شمعون الثالث : جاء في المقالة السمعانية ان انتخاب هذا البطريرك جرى في سنة ١٢٩٧ . ذكر ذلك سابا ابن القس جرجس من قنات في نسخة كانت محفوظة في كنيسة مار مخايل عينطورين وقد ذيّلها بقوله : « كان النجاز منها في سنة ١٣٢٢ في ايام الاب المختار البطريرك شمعون ». كذلك قال القس يعقوب، رئيس دير مرت مورا في اهدن ، في آخر انجيل كان محفوظاً في كنيسة بجّه في بلاد جبيل : « وكان الفراغ منه في سنة ١٣٣٩ في ايام البطريرك شمعون » .

بعد انسحاب الصليبيين ضاعف المماليك اجتهادهم في مضايقة اللبنانيين في جبل لبنان . ففي ايام البطريرك شمعون أتى سبعماية فارس بأمر السلطان برقوق من الشام الى البقاع ، وتقدموا الى كسروان فاستنجد الكسروانيون بمقدمي الجرد والشحار وفتكوا بالفرسان السبعمئة .

وفي سنة ١٣٠٣ جاءت عساكر الشام وطرابلس وجرت بين هذه العساكر ومقدمي جبل لبنان معركة هائلة قرب جبيل كان النصر فيها حليف مقدمي الجبل وكان عددهم ثلاثين مقدماً، منهم اثنان من لحفد وواحد من مشمش واخر من ايليج وغيرهم من العاقورة ومن حردين .

روى هذه المعركة صالح بن يحيى ، صاحب تاريخ بيروت . ورواها ابن القلاعي عن لسان جدوده بعد وقوعها بنحو قرن، وحدَّث ايضاً عن خلاف نشأ بين المقدمين على قسمة الغنائم حسمه البطريرك شمعون كما انه كان قد وحَّد كلمة اولئك المقدمين حتى تسنّى لهم بذلك النصر المبين .

ولكن المماليك لم يصبروا على هذه النكبة . ففي سنة ١٣٠٥ سار نائب

دمشق بخمسين الفاً الى جبل الجرد وكسروان ؛ واحاط عسكره بتلك الجبال ففتك باهلها فتكاً ذريعاً وخرب كل القرى ، ومن ذلك الحين امست نواحي كسروان خراباً يباباً ينعب فوقها الغربان وتشتت شمل من بقي من السكان في ضواحي الجبل .

اما الموارنة الذين كانوا يقطنون شمالي لبنان،من نهر ابراهيم حتى جبة بشري، فقد استقروا بعد ذلك مستكنين لا يتحرشون باحد كما كانوا يفعلون من قبل. وانتهت الحوادث في سنة ١٣٠٧ على عهد البطريرك شمعون الذي كان يحرض ابناءه دائماً على الاخلاد الى السكينة .

ثم انصرف المماليك الى ترميم ما هدمته جيوشهم وجعلوا للبنان نظاماً خاصاً وفقاً لتقاليده في الحكم ، وقسموه قسمين جنوبي وشمالي. وعهدوا بادارة الشمال الى الامراء التركمانيين ، وبادارة الجنوب الى الامراء التنوخيين ، واناطوا بالفريقين حماية الشواطئ من الافرنج .

وبعد ذلك سمحوا لبعض الدول بانشاء قنصليات،ولموفدي الكرسي الرسولي بالدخول الى البلاد ؛ واجازوا للارساليات الدينية الاقامة فيها؛ وتسهلت للافرنج طرق التجارة في السواحل اللبنانية .

يوحنا العاقوري : ذُكر في كتاب محفوظ في كنيسة مار سركيس حدشيت ما يلي : « كمل هذا الكتاب في سنة ١٣٥٧ في ايام يوحنا بطريرك انطاكية وجبل لبنان والشطوط البحرية » .

جبرائيل من حجولا : وفي تلك السنة ، على قول السمعاني ، أقيم موضع يوحنا العاقوري جبرائيل الشهيد من حجولا . وفي قوله هذا تأييد لما جاء في زجلية ابن القلاعي من ان الشعب أجبره على التنزل عن المقام البطريركي، واجتمع

الاساقفة والكهنة والاعيان مع الموفد الرسولي الذي سماه ابن القلاعي «ايمارتلوس»، واقاموا جبرائيل من حجولا .

ادار جبرائيل هذا شؤون البطريركية مدة عشر سنين ومات شهيدًا في سنة ١٣٦٧ . اما سبب ذلك فهو ما كان من إغارة پيار دي لوزينيان ، ملك قبرس، على مدينة الاسكندرية وامعانه في السلب والنهب والقتل . فردَّ عليه سلطان القاهرة بالمثل ، اذ هبَّ في سنة ١٣٦٧ يجهز حملة للاقتصاص من اللبنانيين الذين كان قد ظن انهم اتفقوا مع الفرنج على استرجاع الاراضي المقدسة . فسيّر الى قيليقية ، المملكة الارمنية اللاتينية الصغيرة ، حملةً اجتاحت في طريقها لبنان. واغارت فرق المماليك على مقر البطريرك،وقبضت على الاساقفة والرهبان وسجنتهم ولم يفلت منهم الا المطران يعقوب الحصروني .

اما البطريرك جبرائيل فلجأ الى قرية حجولا مسقط رأسه بناء على الحاح الاكليروس والاعيان والشعب ، فارسل نائب طرابلس جنوده في طلبه والقى القبض على زعماء المقاطعة وانذرهم بالهلاك ان لم يُسلّم اليه البطريرك . عندئذٍ سار البطريرك الى طرابلس مستسلماً،وقد حكم عليه ظلماً بالموت ونفذ فيه الحكم في شهر نيسان من سنة ١٣٦٧ .

ويتحصل من زجلية ابن القلاعي ان هذا البطريرك لقى حتفه بناء على شهادات زور اداها ضده فريق من اليعاقبة الماردينيي الاصل .

داود اللحفدي : وبعد استشهاد البطريرك جبرائيل لا ندري كم من السنين بقي الكرسي البطريركي شاغرًا. ولا نعرف في اية سنة انتخب البطريرك داود. جاء في المقالة السمعانية ان هذا البطريرك سكن اولًا في هابيل ثم انتقل الى دير مار سركيس في حردين وممن ذكروا هذا البطريرك الخوري دانيال الباني في ذيل كتاب الخز نسخه في سنة ١٣٩٧ .

وقال الدويهي في « تاريخ الازمنة » انه في سنة ١٤٠٠ ، كان باقياً في قيد

الحياة. توفي في سنة ١٤٠٤ في عهد الملك برقوق ، وكان يعقوب البشراوي مقدم الجبة وكان الموارنة قد نظموا امورهم في شمالي لبنان بادارة بطريركهم وقسموا البلاد الى مقاطعات على رأس كل مقاطعة مقدم . وكان المقدمون مع خضوعهم لنائب طرابلس يديرون شؤون جماعاتهم على طريقتهم الخاصة ويتوارثون الوظيفة. وكان حكم الاقطاع قد ازداد تأصلاً في عهد الصليبيين . وعلى هذا الشكل حكم الامراء والمقدمون والمشايخ الى ان فتح البلاد السلطان سليم في سنة ١٥١٦ .

بطاركة القرن الخامس عشر

يوحنا الجاجي : جاء في المقالة السمعانية ان هذا البطريرك صار انتخابه في سنة ١٤٠٤ وهو الثاني من جاج. خدم الكرسي البطريركي الى سنة ١٤٤٥. وكان مقيماً في ميفوق يوم وردت عليه، سنة ١٤٣٨، دعوة البابا أوجين الرابع لحضور المجمع الفلورنسي، فارسل فراجوان، رئيس رهبان مار فرنسيس في بيروت، ليعرب للحبر الاعظم عن استعداده لقبول كل ما يحدده المجمع من عقائد وما يسنه من قوانين ويكرر طلب منحه براءة التثبيت.

في ١٢ شباط سنة ١٤٣٩ عرضت في المجمع مكاتيب البطريرك يوحنا وامة الموارنة في لبنان والقدس وقبرس. وفي ١٠ حزيران من السنة نفسها تقرر تثبيت البطريرك وايلاؤه كل الانعامات التي تمتع بها سلفاؤه. وارسل اليه البابا مع الباليوم رسالةً ابان له فيها كل ما بذله من جهود حتى توصل الى إقناع ملك الروم وبطريرك القسطنطينية بالرجوع الى حضن الكنيسة وازالة شقاق مضى عليه ٤٥٠ سنة، حتى شاهد العالم اساقفة الشرق والغرب على اتم وفاق في ما يتعلق بالقضايا المختلف عليها سابقاً، أخصها قضية رئاسة البابا ومسئلة انبثاق الروح القدس من الآب والابن وعدم انفصام عقد الزواج الخ ... فتهلل العالم اجمع وفرحت السماء بهذا اليوم الذي صنعه الرب[1].

وفي شهر تشرين الاول من سنة ١٤٣٩ عاد فراجوان الى طرابلس، حاملاً درع كمال الرئاسة المنتظر منذ سنين عديدة. فشمل الفرح المدينة وضواحيها ولكن حكومة المماليك استاءت من المظاهرات وقبض نائب المدينة على فراجوان

---

١) ولكن يا للاسف في سنة ١٦٧٢ عُقد في القسطنطينية مجمع تقرر فيه تحت تأثير سياسة السلطان العثماني العودة الى الانفصال عن رومية.

بحجة ان ملك الروم لم يدخـل بلاد الفرنج ولم يحضر المجمع الفلورنسي الا لكي يتعاون معهم عـلى استرجاع الاراضي المقدسة من يد حاكم مصر ، وان فراجوان الحامل درع الرئاسة الى البطريرك الماروني هو في الحقيقة احد عملاء الدعاية للسياسة الغربية . وما ان درى السيد البطريرك بالامر حتى دعا بعض الاعيان وكلفهم السعي لاخلاء سبيل القاصد الرسولي ؛ فشخصوا الى المدينة وخاطبوا الحاكم في قضية الافراج عن الموفد البابوي فصرح لهم بأنـه لا يطلق سراحه الا لقاء كفالةٍ شخصية يتعهد بالقيام بها كل اعضاء الوفد الحاضرين ، فقالوا نحن كلنا كفلاء . عندئذٍ صدر الامر باخلاء سبيل القاصد فشخص حالًا الى ميفوق وسلّم البطريرك درع الرئاسة ثم توارى . وما عرف النائب بذلك حتى امر باحضار الكفلاء وفرض عليهم غرامة مالية باهظة فمن تمكن من الدفع فاز بالنجاة ومن عجز كان نصيبه الشنق .

ثم امر هذا الحاكم بمداهمة دير ميفوق والقبض عـلى الرهبان فاخذهم الجند الى طرابلس بعد ان قتلوا بعضهم واحرقوا البيوت والارزاق . اما البطريرك فلجأ الى وادي قديشا وسكن دير قنوبين .

وفي شهر آب من سنة ١٤٤٠ اوفد البطريرك الراهب بطرس دي فرارا، من الاخوة الصغار ، الى رومية بعريضة تتضمن الشكر للحبر الاعظم على ما اولاه من نعم. فاجاب البابا اوجين الرابع بكتاب مؤرخ في ٢ ك ١ سنة ١٤٤١ مفاده انه واثق بشدة تعلق الامة المارونية منذ نشأتها بالكرسي الرسولي .

وكانت وفاة هذا البطريرك في سنة ١٤٤٥ ولم تصله درع كمال الرئاسة الا قبل موته بخمس سنوات مع انه استمر في كرسي البطريركية احدى واربعين سنة .

يعقوب الحدثي : انتخب في اليوم التاسع بعد وفاة سلفه. وتلقى من البابا براءتين كانتا مصونتين في خزانة دير قنوبين .

خدم الكرسي البطريركي اثنتي عشرة سنة . وكانت وفاته في ٨ شباط سنة ١٤٥٨ .

بطرس الحدثي : تمَّ انتخابه في اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك يعقوب وأثبت في ٥ شباط سنة ١٤٧٥! .

كتب البابا بولس الثاني الى الرئيس العام لرهبان مار فرنسيس في القدس يوجب عليه ارسال احد رهبانه الاكفاء الى لبنان لتفقد شؤون الموارنة بصفة مفوض رسولي يكون له ملءُ السلطان لقضاء مهمته الخطيرة .

جال الموفد البابوي في انحاء لبنان فاحصاً وواعظاً ومرشداً ومؤاسياً الرؤساء والاهلين الذين كانت حكومة المماليك تحمّلهم صنوف المحن والمغارم اذ كانت تبعث اليهم من جندها وجباتها من ينهبون بيوتهم بحجة تحصيل الضرائب ويضربون الفقراء العاجزين منهم عن الدفع. وبُلّغ البابا ان البطريرك بطرس باع آنية الكنائس وتبرع بمداخيل الكرسي البطريركي لدفع الضرائب عن الفقراء، وأنه يستغيث بقداسته فبادر الى معونته بما خفف كثيراً من الاثقال عن شعب لبنان.

عاش هذا البطريرك في رئاسة الكرسي الانطاكي اربعاً وثلاثين سنة وتوفاه الله في ١٢ تشرين الاول من سنة ١٤٩٢ .

شمعون الرابع الحدثي : خلف عمه البطريرك بطرس في ٢١ تشرين الاول من السنة المذكورة ولم يحصل على درع كمال الرئاسة الا في سنة ١٥١٥ اي بعد انتخابه باحدى وعشرين سنة ، بسبب تواصل الحروب .

وعندما هم البابا لاون العاشر بان يمنحه درع كمال الرئاسة ارتأى مجمع الكرادلة ان يعود القاصد البطريركي الى لبنان ويأتيهم بمعلومات ضافية عن كيفية انتخاب البطريرك وتقديس الميرون وخدمة الاسرار في البطريركية المارونية ، فصدع القاصد بالامر ولم يلبث ان عاد الى رومية بالمعلومات المطلوبة،

في ٨ اذار سنة ١٥١٤ . وفي سنة ١٥١٥ تكرم الحبر الاعظم بارسال الباليوم مع براءة قال فيها : « نشكره تعالى لانه بعظيم حلمه شاء ان تكون الامة المارونية وسط اهل الكفر واصحاب البدع مصونةً كالوردة بين الاشواك وذلك لتسبحة اسمه ولارتداد غير المؤمنين الى الايمان » .

البطريرك شمعون والسلطان سليم : في سنة ١٥١٦ هجم السلطان سليم الاول العثماني على قانصوه الغوري سلطان المماليك ، ليضم بلاده الى السلطنة العثمانية . فاستعان الغوري بأمراء لبنان ودعاهم ليوافوه بجنودهم الى مرج دابق في حلب. فلم يلبِّ التنوخيون الدعوة، اما المعنيون فبادروا لنجدة السلطان سليم وحاربوا الى جانبه حتى تمَّ له النصر المبين . وكان للامير فخر الدين فضل ظاهر في ربح المعركة فقدَّمه الفاتح على كل الامراء اللبنانيين واعترف لابنائه وحفدته بوراثة الامارة في بلاد الشوف . واقام الامير جمال الدين على بلاد الغرب ، والامير عساف على كسروان وبلاد جبيل.ولم يرتّب عليهم الا مالًا يسيرًا ، وترك لهم الحرية والاستقلال الذاتي ، ولم يفرض على البطريرك الماروني الفرمان السلطاني مع انه فرضه على كل بطاركة المشرق .

البطريرك شمعون والمقدم عبد المنعم :اذا ما عدنا الى السنين الاولى من رئاسة هذا البطريرك رأينا انه عندما توفي المقدم عبد المنعم في سنة ١٤٩٥، كان البطريرك شمعون يقاسي الاهوال من جراء خروج هذا المقدم عن دين جدوده ومن اقدامه على افساح المجال لليعاقبة حتى استقدموا من القدس اسقفهم ديوسقورس واستولوا على عدة اديار فأمسى الدين الكاثوليكي في خطر . عندئذٍ اوقد البطريرك نار الحمية في نفوس ابنائه فنهض الاهدنيون وحملوا على الهراطقة حملةً شتتت شملهم. فغضب عبد المنعم واستنجد باولاد الشيخ زعزوع المتاولة ، اصحاب بشنّاتا، فحشدوا جيشاً من رجال مقاطعة الضنيه وقصدوا اهدن ، حتى اذا وصلوا الى محلة تولا انقضَّ عليهم الاهدنيون وضربوهم الضربة القاضية. ولما رأى اليعاقبة ان لا قبل لهم بالاقامة بين الموارنة رحلوا عن لبنان مكرهين .

ولما توفي عبد المنعم اهتم البطريرك شمعون باصلاح ما احدثته سياسة الكفر من فساد. وعاش بعد ذلك تسعاً وعشرين سنة ، وتوفي في ٢٧ تشرين الثاني من سنة ١٥٢٤ ، وله من العمر مئة وعشرون سنة وفي رئاسة الكرسي الانطاكي اثنتان وثلاثون سنة .

بطاركة القرن السادس عشر

موسى العكاري : انتُخب في ٩ كانون الاول من سنة ١٥٢٤ . وكانت المسئلة الشرقية قد استعادت اهميتها واعارهـا الكرسي الرسولي التفاتاً خاصاً، وذهب الى رومية وفد من موارنة وملكيين ودروز فعين الحبر الاعظم مَن يمثله تجاه هذه الطوائف .

ولم تسمح الظروف بأن يحصل البطريرك على درع التثبيت الا في سنة ١٥٦٢ قبل وفاته بخمس سنوات، مع انه استمر في رئاسة الكرسي الانطاكي اثنتين واربعين سنة وثلاثة اشهر. وكان من اسباب هذا التأخر موت موفده في البحر متأثرًا بمشقات السفر فلم يعد احد يجرأ على الابحار الى رومية. وعبثاً كان البطريرك يوجه مطالبه مع التجار الافونج . وفي اخر الامر تمكن البابا بيوس الرابع من ان يرسل اليه الباليوم مع براءة قال فيها : « الحمد لله الذي ابقى في الامصار المشرقية آلافاً من اناس لم تجثُ ركبهم لباعال ولم يفسدهم القرب من الهراطقة ».

وفي السنة ١٥٢٧ كتب البطريرك موسى العكاري الى الامبراطور « شارل كان » يدعوه لاستخلاص لبنان من ايدي العثمانيين، ووعده بان يضع تحت تصرفه خمسين الف مقاتل ماروني، كما يستفاد ذلك في رسالةٍ وجهها البطريرك في ٢٥ اذار ١٥٢٧ الى الملك « شارل كان » وقد وقال فيها : « منذ اربع سنوات ونحن نترجى جلالتكم لكي تهتموا بمساعدتنا على نيل استقلالنا وعندنا خمسون الف من الرمـاة مدربون احسن تدريب وعلى اتم استعداد لخدمتكم في الحرب الاستقلالية الخ » ...

Rabbat, Documents... 2, 616. (١

وفي سنة ١٥٥٠ ارسل هذا البطريرك الاب انطون الحصروني ابن الحاج فرحات الى حلب لمقابلة السلطان سليمان ، وكان الاب المذكور يجيد التكلم باللغة التركية فأعجب السلطان بفصاحته وقوة برهانه ، وانفذ امرًا همايونياً الى قاضي طرابلس كي لا يسمح لاحد بأن يتعرض للبطريرك الماروني بشيء ، وان يصير السهر على ان تبقى حقوق الطائفة المارونيــة مرعيةً بنوع خاص ، وان يعاقب بشدّة كل من يتجاسر على مخالفة هذا الامر .

وان ذلك اعتراف صريح من قبل السلطان باستقلال الموارنة النوعي القديم ، وما قوله برعاية حقوق الطائفة على نوعٍ خاص ، الا اثبات لما كان لها من حقوق قديمة . وعليه ظل الموارنة كما كانوا من قبل احرارًا في امور دينهم وزيجاتهم واحوالهم الشخصية ، وبقي بطريركهم معفىً من طلب الفرمان السلطاني .

وفي سنة ١٥٦١ شخص البطريرك الى القدس لزيارة الاماكن المقدسة. وفي هذه الزيارة تداول مع رئيس الفرنسيسيين حارس القبر المقدس بشأن ارسال علماء من رهبانيته لتدريس العلوم الفلسفية واللاهوتية في مدارس لبنان ، وفضّ خلافاً كان ناشئاً بين ابنائه والاقباط على كنيسة مار جرجس[١] .

وفي عهد هذا البطريرك حوالي سنة ١٥٤٥ نقل سركيس الخازن من جاج وسكن عجلتون وارسل اولاد الجميل الى بكفيــا وبيت كميد الى غزير لان الامير منصور كان قد وطّد الامن والعدالة في مقاطعته . وكان الشيعيون اخذوا يتواردون من العجم واقام بعضهم في شمالي لبنان وبعضهم في الجنوب وانتشر الدروز في مناطق الشوف والمتن . واقام الموارنة والدروز على صفاء ومودة وقد قاربت بينهم المصالح فعقدوا تحالفاً مكّنهم من الوقوف في وجه اهل الفساد وتجاه باشاوات الباب العالي ، حتى جعلوهم يقصرون ولاياتهم على بعض المدن الساحلية من لبنان . واخذ الفلاحون الموارنة ينزحون من الشمال الى الجنوب بدعوة من

١) وكان في السنة الـ ١٥٥٢ قد اجرى في تنورين مصالحة بـين آل قرقماس وال ابي صادر مطر على اثر اغتيال جرجس ابي قرقماس وكان الخلاف قد استفحل امره (عن مخطوط وجد في دير حوب قرب تنورين) .

قبل اعيان الدروز فانتشرت الزراعة في الجبال وكثرت القرى .

وتوفي البطريرك موسى في ١٩ اذار سنة ١٥٦٧ ، بعد ان ادار شؤون الكرسي البطريركي مدة ٢٤ سنة .

مخايل الرزي : انتخب في ٣١ اذار سنة ١٥٦٧ وتأخر تثبيته عدة سنين الى ان تبين بطلان ما تقدم بحقه من شكايات ، بتحقيق مدقق اجراه جوان باطيشتا الذي جال في لبنان وفحص الكتب ونظم المحاضر والفرائض واقترح عقد مجمع طائفي. ثم عاد الى رومية ورجع الى لبنان حاملًا درع كمال الرئاسة فتقلده البطريرك باحتفال شائق ، في ٥ آب من سنة ١٥٨٠ .وتوفي في ٢١ ايلول سنة ١٥٨١ وهو اول من اقترح انشاء مدرسة للطائفة المارونية في رومية وبدأ باعداد مجمع طائفي تم انعقاده في ايام خلفه .

سركيس الرزي :انتخب في اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك اخيه وصار تثبيته في ٥ اذار ١٥٨٣ .

في عهده انشأ البابا غريغوريوس الثالث عشر مدرسة للموارنة في رومية سنة ١٥٨٥ . وفي سنة ١٥٩٥ أرسل الاب جيروم (ايرونيموس) دنديني اليسوعي لتفقّد شؤون الطائفة فاستدعى البطريرك الاساقفة وعددًا من الكهنه والعلماء ومشايخ الجبه فتلا عليهم الاب دنديني رسالة بابابوية فيها ما فيها من تهم الصقها الاب باطيشتا بالموارنة . فقال البطريرك : غريب هو أمر هذا القاصد الرسولي ! انا رافقته في زياراته اديار الطائفة وكنائسها وكنت أُترجم له الكتب وكان يصرّح بان ليس فيها ما يخالف تعاليم الكنيسة الرومانية ! فكيف راح بعد ذلك ينسب الينا ما نحن براء منه ؟ عند ذلك اعلن الاب دنديني عزمه على اجراء تحقيق دقيق ، وهو يحسن فهم اللغة السريانية . فجال في البلاد ودقق في فحص كل الكتب وصرّح بانه لم يجد اثرًا لما نُسب

الى الموارنة من اغلاط ، وانه تأكد وجود كتب عبثت بها يد اليعاقبة .وقال أيضاً في كتاب رحلته الى بلاد الموارنة في سنة ١٥٩٦ : « ظن موفدو رومية ان الموارنة حادوا عن جادة الايمان القويم بناء على ما طالعوه في بعض كتب افسدتها يد المبتدعين. ان مكاتيب الاحبار الاعظمين من عهد البابا زخيا الثالث لم تحوِ اموراً شائنة بحق الموارنة الا بناء على تبليغات رسلهم الكاذبة . فانا تحققت بنفسي ان الامر جرى على هذه الصورة غير المطابقة للواقع، لاني طالعت كتبهم وانا أحسن فهم لغتهم السريانية، فوجدت ان هذه الكتب ، وهي قديمة الاصل جداً، تطابق كل المطابقة تعاليم الكنيسة الكاثوليكية. وتأكدت ان القصاد السابقين لم يتبصروا في الامور ولم يجتهدوا في فحص الكتب بما ينبغي من الاجتهاد فلا عجب اذا رجعوا الى رومية بأخبار تخالف الواقع. ومن شاء ان يعرف ما هي قيمة شهاداتهم بحق الموارنة فليلاحظ انها منقولة كلها عن اصل واحد بنيت عليه براءة البابا زخيا الثالث ، وعن هذه البراءة الموجهة الى الروم الذين حلفوا مع الموارنة يمين الطاعة للبابا على يد الكردينال بطرس نسخت البراءات التالية، فنسبت مثلها الى الموارنة وهو ما لم تصح نسبته الا الى الروم » .

وقال في الفصل السابع والعشرين من كتابه المشار اليه : حدثت البطريرك بقضية عَقد مجمع طائفي فأبدى مزيد الاسف ثم قال : هذا ما رغبت فيه من زمن طويل ، منذ عهد اخي البطريرك مخايل . ولا اتمالك من ان اظهر لك ما يحزُّ في فؤادي من شديد الالم من جراء ما اقدم عليه الاب باطيشتا ، من حمل اخي البطريرك والاساقفة على توقيع ورقة بيضاء ليكتب عند سنوح الفرصة ما ينبغي عرضه للحبر الاعظم ، ليأمر باجراء ما به خير الطائفة . فختم البطريرك ونحن الاساقفة « على بياض » وراح هو فكتب ما كتب « على البياض » ، مما سوَّد صحيفة الطائفة في اعين البابا واعضاء المجمع المقدس. فقال الاب دنديني : لقد استغربت هذا الخبر . ولكن كيف لا نصدقه والبطريرك الذي رواه كان من جملة الاساقفة الذين وقعوا تلك الورقة البيضاء التي سوَّدها القاصد بمداد القدح

البطريرك اسطفان الدويهي

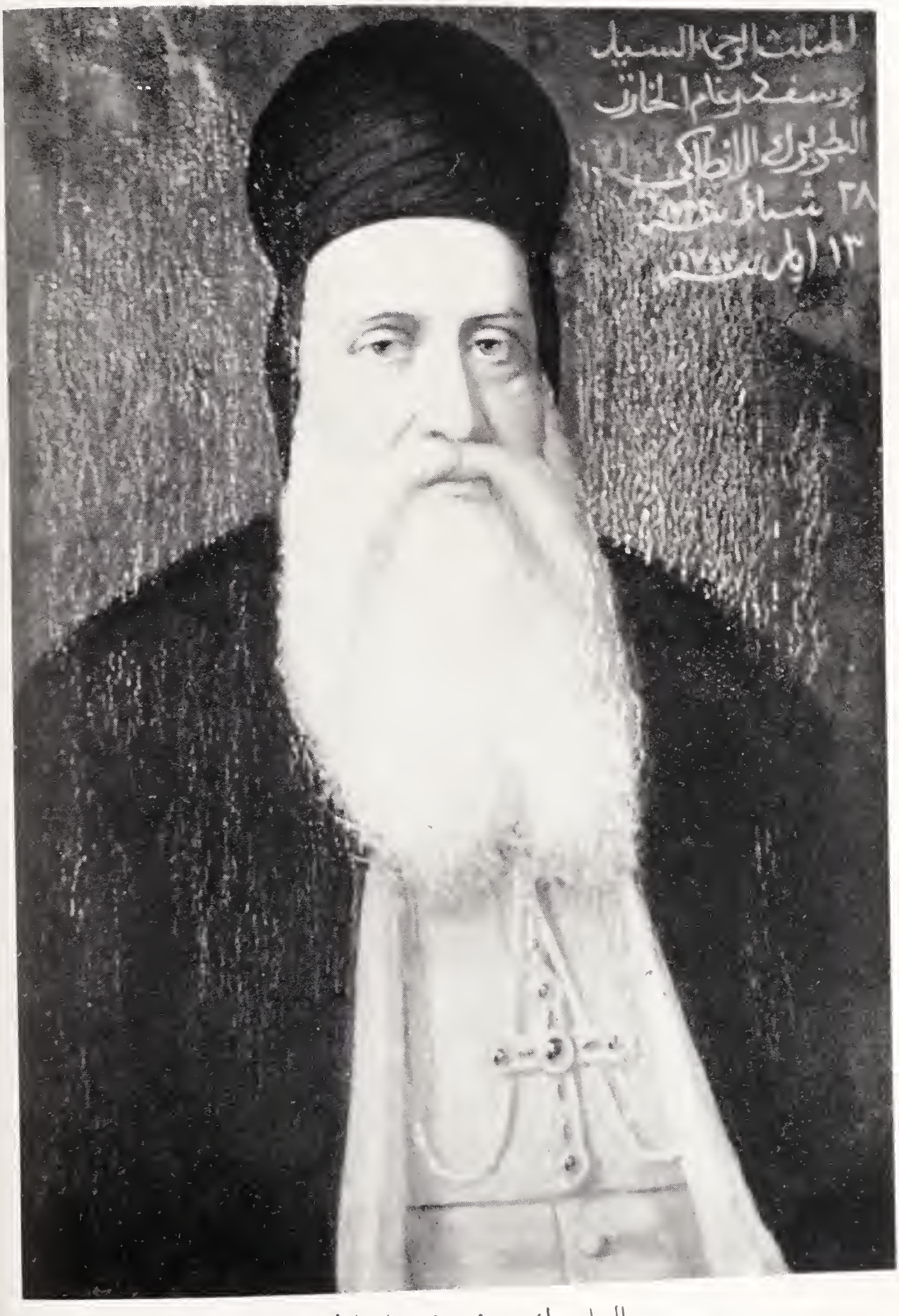

البطريرك يوسف ضرغام الخازن

والذم. غير أني اعملت الفكرة لاجد له عذراً فخيل الي انه قصد تصويرَ الموازنة تصويراً ضمّنهُ من القباحة ما يحمل الحبر الاعظم على الاسراع بتشييد مدرسة لهم في عاصمة الكثلكة تنجب رجال علم وفضيلة .

وفي عهد هذا البطريرك سنة ١٥٩٠ ظهر الامير فخر الدين الثاني ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره دعاه خاله من قرية بلونة حيث كان لاجئاً الى دار آل الخازن . وسلّمه في بعقلين مقاليد امارة ابيه الامير قرقماز . وحالما تسلمها عيّن الشيخ ابا نادر الخازن مدبراً لاموره، قصد ان يزيل اثار التعصب الطائفي ويوحّد القوميات المذهبية ويؤسس قومية لبنانية موحدة[1] .

طمحت نفس الامير الى الفتح والتوسع وضمّ الامارات المتعددة الى امارته فتغاضت عنه الدولة لرغبتها في تذليل الاقطاعيين . وسيأتي بيان ذلك .

وفي عهد البطريرك سركيس عُقد في سنة ١٥٩٦ أول مجمع طائفي. وكانت وفاة هذا البطريرك في ٢٥ ايلول سنة ١٥٩٧ .

يوسف الرزي : خلف عمه البطريرك سركيس في ٤ تشرين الاول من سنة ١٥٩٧ ونال براءة التثبيت في ٢٧ ايار سنة ١٥٩٩ .

امر ابناءه باتباع الحساب الغريغوري، فقدم بطريرك الروم في دمشق عريضة الى حافظ المدينة قال فيها ان الامة المارونية بلبلت جميع الطوائف الشرقية

---

١) ولا شك في انه اراد ان يكافئ آل الخازن على ما احاطوه به من ضروب الاكرام والعناية في ايام المحنة . روي ان الامير قرقماز اختفى من غضب السلطان العثماني عندما طلب منه تسليم اولئك الذين قطعوا الطريق على ناقلي المال الاميري الى خزينة الباب العالي في الآستانة ونهبوه منهم ولكنه لم يشأ تسليمهم بل اختفى تاركاً ولديه فخر الدين ويونس الى عناية والدتها « الست نسب » فارتأت هذه المرأة الحكيمة ان تلجأ بها الى بلاد النصارى وحلت في قرية بلونه في كسروان في دار ابي صقر الخازن . فضم ابو صقر الاميرين الى افراد عيلته وعني بتربيتها على مبادئ العدل والشرف ودرّبها في طرق واساليب السياسة الرشيدة . وظلا تحت حمايته الى ان فُتح في وجهها سبيل الحرية والفرج (طالع اوراق بيت الشيخ حصن الخازن) .

بتغييرها حساب السنين وزمن الاعياد. فامر الباشا بالقاء القبض على كهنة الامة واعيانها وبذل البطريرك اقصى مجهوده لرفع الحيف عنهم .

وفي سنة ١٦٠٧ جرت حروب بين ابن جنبلاط وابن سيفا. واشتدت وطأة « القشلق » مدة ستة اشهر وتفرقت عساكر السلطان في البلدان من حلب الى بلاد الشوف فعمَّ الخراب والدمار. وفي جملة ما خرب من القرى في بلاد البترون حوب وبلعا ورام وتولا، وفي جهات الجبّه والزاوية دُمرت اماكن عديدة. وكابد البطريرك خسائر مالية فادحة في سبيل اغاثة المنكوبين . واشتهرت في تلك الايام قداسة الحبيس بطرس التنوري واعمال غيرته .

وفي سنة ١٦٠٨ اشتعلت نيران الحرب بين حافظ دمشق واحمد باشا واشتد الضيق . واحتمل البطريرك من اتعاب الكفاح في سبيل اعادة السلم ما لا يمكن وصفه . فاعتلت صحته وانتقل الى جوار ربه في شهر اب من تلك السنة. وبقي الكرسي البطريركي شاغراً مدة تسعة اشهر بسبب ذلك الاضطراب .

ولما بلغ الحبر الاعظم نبـأ وفاة هذا البطريرك القديس كتب الى رؤساء الطائفة يقول: « نشكر ربنا يسوع المسيح الذي صان امتكم الشريفة من فساد البدع التي طالما غشيت الامصار المشرقية ونعزيكم لفقدكم بطريركاً عظيماً ».

بطاركة القرن السابع عشر

يوحنا مخلوف الاهدني : تم انتخابه سنة ١٦٠٩ في شهر نيسان، واثبته البابا بولس الخامس في سنة ١٦١٠ . كان هذا البطريرك كريم الاخلاق، حكيماً، كثير الشفقة على الفقراء والمساكين، ذا قلب طاهر ، قاسياً على نفسه، شفوقاً على غيره . وكان مسموع الكلمة لدى الباب العالي ، يأتمر بامره الحكام . وصدر يوماً امر من الحاكم ابن سيفا باعدام الشدياق انطونيوس فقُيد بالسلاسل وسيق مطأطأ الرأس منحني الظهر الى العذاب فالموت على « الخازوق » . واذا برسول من قبل البطريرك قد وصل وطلب مقابلة الحاكم وفي هذه المقابلة صدر العفو .

اقتنى هذا البطريرك للكرسي البطريركي املاكاً واسعة. وفي سنة ١٦٢٤ فتح في حوقا مدرسة اكليريكية ازدهرت في ايامه واعدت لمدرسة رومية طلاباً متفوقين . وكان يكثر من زيارة هذه المدرسة ويفحص الطلبة ويعد المجتهدين منهم بارسالهم الى مدرسة رومية .

سُرَّ البابا اوربانوس الثامن بهذا المشروع وعطف على هذه المدرسة فوضع لها قانوناً وجعل لها مرتباً سنوياً .

وفي ٢٥ ايار من سنة ١٦٢٩ سام هذا البطريرك احد تلامذة مدرسة رومية مطراناً على طرابلس وهو اسحق الشدراوي، الذي برع في العلوم الطبيعية والفلسفية واللاهوتية . في عهده توفي الاسقف يوحنا الحصروني في سنة ١٦٢٨ ، وكان من تلامذة رومية ؛ وهو الذي ترجم بعض كتب مار توما الى اللغة العربية ، ونادى بالحساب الغريغوري في حلب ، الامر الذي حمل زعماء باقي الطوائف على ان يدفعوا للوالي اربعة آلاف غرش ليحكم بجرقه. وعندما طلب للمحاكمة حضر ودافع عن صحة تقويم حساب السنين الحديث ببراهين قاطعة افحمت الحاضرين.

وفي ١٥ كانون الاول من سنة ١٦٣٣ انتقل البطريرك يوحنا مخلوف الى جوار ربه وكان قد أدار شؤون البطريركية خمساً وعشرين سنة .

البطريرك يوحنا مخلوف والامير فخر الدين الثاني : ولّى الامير فخر الدين الشيخ ابا نادر الخازن على مقاطعة جبيل والبترون فاتيح للمؤمنين ان يعمدوا الى خدمة الدين . وقدم من بلاد الفرنج رهبان الاخوة الصغار والكبوشيون وعمّر النصارى عدة كنائس وركبوا الخيل بسروج ولفوا شاشات بكرور وحملوا البنادق المجوهرة . وكان الامير يرجع الى رأي البطريرك في اهم الامور ، وكان اكثر جنده وخدامه وكواخيه من النصارى .

قلنا سابقاً ان نفس الامير فخر الدين طمحت الى الفتح والتوسّع فاستمال اليه بني حرفوش وشهاب وارسلان وابي اللمع ومقدمي الموارنة وحالف جان بولاد في حلب. وفي سنة ١٦١٠ قهر ابن سيفا واخذ مدن بيروت وصور والشقيف وبانياس والحوله وبحيرة طبريه والناصرة وقانا الجليل وطور طابور .

وحدث في البلاد ميل عام الى توحيد الحكم فتمّ ذلك على يد هذا الامير ، فهوالذي وحّد الامارة اللبنانية وشكّل حكومة على قاعدة القومية والكفاية ، لاعلى اساس الدين والمحسوبية . وجعل غايته توسيع حدود البلاد ونزع سيادة الدولة عن لبنان ، فحاربها كل مدة حكمه. وعقد محالفات قوية في اوربا ولم يلبث ان اعترف الامراء والمقدمون والمشايخ بحكمه وهم أنما يعترفون لامير وطني لبناني لا لاجنبي عنهم .

وبعد ان استوثق من مناعة جيشه وثبات ماليته أبرز نيّاته الى حيز العمل فزحف بجيشه على الولايات المجاورة فاكتسحها . وما لبث ان تطلعت نفسه الى ابعد من ذلك فطمح الى الاستانة وبدأ في مخابرات مع دول اوربا لايجاد محالفة ، حتى اذا تم له ذلك حارب الدولة ، مستنداً الى جيشه اللبناني والى حلفائه الاوربيين .

اتفق مع البطريرك يوحنا مخلوف على ارسال المطران جرجس عميرة (الذي

ارتقى بعدئذٍ الى السدة البطريركية) سفيراً الى رومية والى توسكانة للمفاوضة مع البابا ومع الغراندوق فردينان الاول، امير توسكانة، وفي ذلك العهد كان لدوقيته مقام رفيع بين حكومات ايطاليا واوربا. ومكث المطران عميرة في اوربا مدةً مواصلاً محادثاته مع البابا اوربانوس الثامن ومع ملوك اوربا وامرائها لايجاد محالفة ضد تركيا. وكان العلامة ابرهيم الحاقلي ذا مقام خطير في الفاتيكان. فساعد كثيراً البطريرك والامير على ما فيه خدمة البلاد.

ثم شخص الامير بنفسه مرتين الى اوربا للغاية نفسها وكلّف المطران جرجس المذكور وضع كتاب في هندسة الابراج والحصون والقلاع.

وكانت الامور جارية على ما يشتهيه فخر الدين اذ كانت اوربا مهتمة بمساعدته وتركيا تسعى الى مرضاته، فسكر بخمرة الفوز ولم يعد يحسب لاعدائه حساباً فطمح بابصاره الى السلطنة.

ومن نكد الدنيا أن قد حدث في اوربا حوادث غيّرت مجرى الامور فتفشّى في ايطاليا وباء الطاعون وانهمك الغراندوق في درء الوباء عن بلاده، وكان له من امورها الداخلية شغل عن فخر الدين. فكف عن ارسال الذخيرة اليه، وكان من جهة ثانية ان اشتدت في اوربا وطأة «حرب الثلاثين سنة» فريعت لها البابوية ولم يعد بامكان البابا ان يمد فخر الدين بمساعدة.

فاغتنمت الدولة هذه الفرصة فجهزت حملةً هائلة سيرتها على فخر الدين وانتشب القتال بين الفريقين الى ان التوى الامر على الامير فاضطر الى التسليم وسافر وانجاله الى الاستانة حيث غُدر بهم في سنة ١٦٣٥.

بعد انقضاء العهد الصليبي امسى لبنان في حاجة الى العلم. اما الموارنة فوجدوا في ارتباطهم بالفاتيكان وسيلةً للنهضة العلمية.

ففي سنة ١٥١٥ اوفد البطريرك شمعون تلامذة كثيرين الى رومية. وفي سنة ١٥٧٩ ارسل البطريرك مخايل الرزي الى المدينة الابدية عدداً كبيراً من طلبة العلم. ثم انشأ البابا غريغوريوس الثالث عشر في حاضرته مدرسةً خاصة بابناء الطائفة

المارونية. وبعد ذلك ارسل البطريرك سركيس الرزي الى رومية عشرين تلميذاً.

وظلّت البعثات تتوالى حتى بلغ عددها في سنة ١٥٩١ اربعمائة طالب منهم كثيرون عادوا الى لبنان بعد نهاية الدروس وانشأوا مدارس ومطبعة قزحيا. وبقي عدد منهم في انحاء اوربا فافادوا العالم اجمع بما جمعوه من مخطوطات شرقية نقلوها الى رومية وحُفظت في خزانة الفاتيكان. ومن اشهر اولئك العلماء الصهيوني استاذ مدرسة السابيانسا في رومية ثم مدرسة باريس الملكية بأمر لويس الثالث عشر، فترجمان الملك، فمساعد ابرهيم الحاقلي. ويوحنا الحصروني في ترجمة الاسفار المقدسة (البوليغلوته). والبطريركان جرجس عميرة واسطفانوس الدويهي. والغزيري. والسماعنة خصوصاً احدهم النابغة يوسف السمعاني، ابو العلوم الشرقية في اوربا ومن علماء عصره المعدودين.

وفي سنة ١٥٣٥ خوّل السلطان سليمان القانوني الملك فرنسيس الاول الفرنسي حماية المسيحيين في الشرق وانتقلت هذه الحماية على التوالي الى ملوك فرنسا. وفي سنة ١٦٤٩ عين الملك لويس الرابع عشر الشيخ ابا نوفل الخازن قنصلاً لدولته في بيروت وتبرع بمرتبات اثني عشر تلميذاً. وجددت النهضة العلمية نشاطها بعناية مجلس الامة الفرنسية منذ سنة ١٧٩٢.

واحتك فخر الدين بالاوربيين بمساعدة تلامذة رومية اللبنانيين، وشجّع تجارهم ورجال ارسالياتهم على المجيء الى لبنان. اما الامر الذي زادهم تشجيعاً على ذلك فهو حصولهم على «الامتيازات الاجنبية» التي منحتها لهم الحكومة العثمانية واقدام الاوربيين على مساعدة المسيحيين والدفاع عن حقوقهم وتدخلهم الفعلي في تأمين المواصلات وحرية العمل فتطورت احوال اللبنانيين وعُدَّ العصر المعني فجراً للنهضة الحديثة.

اعمال فخر الدين العمرانية: بعد ان اخذ فخر الدين طرابلس وقلعتي المرقب والحصن واستتب له الامر من حلب الى اورشليم، انصرف الى ترتيب امور دولته فقطع دابر الاشقياء ورمم الاسوار والابراج والقلاع وسهّل المواصلات

البرية والبحرية وشجّع مراكب الافرنج وتجارهم على المجيء الى موانئنا، ورغّب توسكانه وغيرها في انشاء قنصليات، وشيّد في صيدا خاناً تجارياً للفرنسيين، واستخدم المراكب لارسال البريد الى اوربا، واستعان بمهندسين اوربيين على اصلاح الطرق والجسور والقنيّ وزراعة التوت والزيتون والقصب والكرمة والقطن والارز، وحسّن صناعة الصابون والحرير والعصر، فهنّأه البابا اوربانوس الثامن بانتصاراته واعماله العمرانية وأوصى رجال الاكليروس والمسيحيين بالاخلاص له .

اما في ما خص الاحكام والمحاكم فكان يحتفظ بالحكم في دعاوى الجرائم وكان يخوّل الرؤساء الروحيين على اختلاف مذاهبهم حق الحكم في القضايا المدنية وفي الاحوال الشخصية .

جرجس عميرة الاهدني : تخرج في مدرسة رومية وكان من النابغين فيها . وفي سنة ١٦١١ بعد ان سيم مطراناً على اهدن اوفده البطريرك يوحنا مخلوف بالاتفاق مع الامير فخر الدين الى رومية والى توسكانه للمفاوضة مع البابا والغراندوق فرديناند امير توسكانة في امر المعاهدة الحربية التي تكلمنا عنها سابقاً . وانتخب بطريركاً في ٢٥ ك ١ سنة ١٦٣٣ .

قال دي لاروك، في كتابه المطبوع في باريس سنة ١٧١٦ : « ان جرجس عميرة بطريرك الامة المارونية كان من مشاهير اللاهوتيين ومن كبار العلماء في المسائل الفلسفية والطبيعية وفي علم النحو السرياني » . وله في هذا الموضع كتاب نفيس برهن في مقدمته على ان اللغة السريانية هي اقدم اللغات . وله في هندسة الابراج وحصون الدفاع تأليف اقترحه عليه الامير فخر الدين فوفّى الموضوع حقه من الشرح كأنه من اهل الاختصاص في معرفة الفنون الستراتيجية .

وكان له يد في توجيه سياسة الامير نحو توحيد كلمة اللبنانيين على اختلاف طوائفهم، وكثرة احزابهم . وساهم في السعي لاقناع امراء الغرب بضرورة التحالف معه ضد تركيا[1] .

١) راجع تاريخ الاعيان، ص ٣٥١ .

البطريرك عميرة والامير ملحم : بعد ان دارت على الامير فخر الدين الدوائر خلفه في الامارة ابن اخيه الامير ملحم ، ابن الامير يونس. فوجّه دعوة الى البطريرك عميرة .

خرج البطريرك من كرسيه في الشمال في موكب من مشايخ واعيان قاصدًا دير القمر تلبيةً لدعوةِ الامير ملحم . وجرى له عند مروره في قرى الجرود استقبالات حافلة، وعندما اقترب الموكب من العاصمة خفّ لملاقاته عددٌ من الخيالة. ولدى وصوله الى قرب باب دار الامير عزفت النوبة بالالحان الوطنية. وعانقه الامير ودخل واياه الى قاعة القصر، وكان قد أُعدَّ له في غرفة محاذية لمحل سكنه كل ما يلزم لاقامة الذبيحة الالهية . وفي اثناء الزيارة افضى اليه الامير بان السلطان العثماني لا يريد ان يعترف له بخلافة عمه، ومن ثم فهو يرغب في ان يتوسط غبطته مع البابا لفض المشكل. عندئذ نظم البطريرك تقريرًا[1] رفعه الى الحبر الاعظم ابان له فيه ان مصلحة لبنان تقضي بأن يكون ابن معن في مكان عمه في الحكم ، فانه حلقة من سلسلة امراء لم يقصدوا الا الخير العام ، وفي ايامهم باد التعصب الطائفي وتمتع المسيحيون بتمام الحرية ، والتمس من رأس الكنيسة ان يحمل ملك فرنسا على اقناع حليفه العاهل العثماني بأن يعترف بالامير ملحم خلفاً لعمه في الامارة ، فجرى الامر بفضل هذه الوساطة على ما كان يتمناه الامير والبلاد بكاملها[2].

وكانت وفاة البطريرك عميرة في آب سنة ١٦٤٤ .

---

١) بيدي مستندات عائلية موروثة عن المرحوم جدي لامي الخوري يوسف قرقماز، يستفاد منها ان هذا التقرير حمله الشيخ ابو نادر الخازن الى توسكانا ومنها جاء به الى رومية فقدمه لقداسة البابا .

٢) عن اوراق وجد بعضها في بيت الشيخ حصن الخازن وبعضها الآخر في بيت جد المؤلف لأمه .

يوسف العاقوري: انتخب في ١٥ آب سنة ١٦٤٤ وأثبت في سنة ١٦٤٦ .

كان جزيل الاهتمام بصيانة الايمان فعقد مجمعين، الاول في دير حراش والثاني في اهدن في هيكل القديسة مرت مورا، وفرض هذا الاخير ٣٢ قانوناً. وكان البطريرك يعتصم بفضيلة الصبر عند وقوع المحن والتجارب ، واحتمل من قبل بعض اقاربه مشقاتٍ كثيرة . كان شجاعاً سخياً ، بذل مالًا كثيرًا في بناء الكنائس ولم يكن اقل غيرةً من سلفائه على اعلاء شأن امته .

درس علومه على بعض الاعلام ، منهم المطران يوحنا الحصروني، ونبغ فيها الى حدّ ان العلامة القرداحي عدَّه في كتابه « الكنز الثمين » مع الملافنة السروجي والرهاوي وافرام السرياني وابن العبري[1]. وكان عدا فصاحته شاعرًا مطبوعاً كما تدل قصيدته المنشورة في آخر كتابٍ نفيس وضعه في علم النحو السرياني . له ميامر ومدائح كثيرة في السريانية والعربية ، وما زال الكثير منها محفوظاً في دير حراش .

وفي سنة ١٦٢٤ رقَّاه البطريرك يوحنا مخلوف الى مطرانية صيدا. وكان ينتدبه في كل امرٍ هام ، فارسله الى حلب لاصلاح شؤون ابناء الطائفة، وهناك صنَّف كتاب « المغني » مقتطفاً اياه من كتاب المطران يوحنا الدومينيكاني .

وفي سنة ١٦٤٣ ابتاع عقارًا في محلة حراش بأرض درعون ، وانشأ فيه ديرًا لاسكان البنات العذارى الناسكات. وخلف البطريرك جرجس عميرة كما قلنا في سنة ١٦٤٤ ونقل من دير قنوبين الى دير حراش .

من مآثره العديدة انه سعى في استمالة اندراوس اخيجيان الحلبي اليعقوبي الى الايمان الكاثوليكي فنجح في مسعاه وارسله الى رومية ليتهذب على مبادئ الكثلكة ، وبعد ذلك كان له الفخر بأنه انشأ طائفة السريان الكاثوليك .

توفاه الله في العاقورة ودفن في كنيسة مار بطرس. لم يعش في خدمة الكرسي البطريركي سوى اربع سنوات وثلاثة اشهر .

---

١) طالع ص ٨٧ منه .

يوحنا الصفراوي :صار انتخابه في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٦٤٨ واثبته البابا زخيا العاشر في سنة ١٦٤٩ .

في تلك السنة جدد لويس الرابع عشر ملك فرنسا عهد الحماية للامة المارونية بمرسوم قال فيه : « ننهي الى سفيرنا في الشرق والى الذين سيخلفونه ان يسعفوا الموارنة لدى صديقنا المعظم (السلطان) لينجزوا اعمالهم ويتصرفوا بمقتضيات مراتبهم الروحية بتمام الحرية . ونأمر قناصل دولتنا في كل موانىء الشرق بأن يساعدوا السيد البطريرك وكل ابنائه الموارنة . ونطلب من السادة الكبار باشاوات ومأموري الحضرة السلطانية العلية ان يعاونوا البطريرك ورئيس اساقفة طرابلس وجميع الاكليروس الماروني وكل ابناء الطائفة المارونية » .

ارسل هذا البطريرك الى فرنسا المطران اسحق الشدراوي يطلب باسمه قنصلية فرنسا في مدينة بيروت للشيخ ابي نوفل الخازن . فأُجيب الى طلبه .

قال المطران حبقوق البشعلاني ان هذا البطريرك كان طاهر الذيل، ذا نفس قنوعة واخلاق وديعة ، تأدب منذ صباه بالتقوى وسيرة التنسك. وبتواضعه ترقى الى اعلى المراتب .

امتحنه الله بأوجاع وأوصاب كثيرة فكان يحتملها بصبر وبسالة . وأجرى الله على يده كرامات عديدة . وكان في وقت الصلاة يلتحف بعض الاحيان بثوب من نور سماوي . دخل عليه مرةً عند المساء العلامة مرهج الباني فوجده جاثياً يصلي ووجهه يسطع بنور علوي .

من جملة مآثره اهتمامه بضبط الطقوس وطبع الكتب الطقسية في رومية.

انتقل هذا البطريرك القديس من هذه الحياة الفانية الى تلك التي لا تزول في ٢٣ كانون الاول من سنة ١٦٥٦ بعد ان قضى في رئاسة الكرسي البطريركي ثماني سنوات وشهراً واحداً .

جرجس حبقوق (الهارب من البطريركية) : وفي اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك الصفراوي اجتمع الاساقفة والمشايخ والاعيان وانتخبوا المطران

جرجس حبقوق البشعلاني بطريركاً على كرسي انطاكية . اما هو فخرج من المجمع واختبأ في قلاية احد الرهبان ، فخلع الشعب باب القلاية وحملوه عنوةً الى دهليز الكنيسة وهناك قال: « دعوني استرح قليلاً وما ترغبون فيه سيكون ». فتركوه ليأخذ بعض الراحة وفي هذه الفترة تمكن من الفرار واختفى في وادي قنوبين الى ان تم انتخاب البطريرك البسبعلي[1] .

كل ما نعرفه عن المطران جرجس حبقوق انـه من قرية بشعلي من بيت حبقوق وهم عيلة قديمة نزحت عن بشعلي . تضلع في مدرسة روميـة من العلوم الفلسفية واللاهوتية والطبيعية ثم جاء الى لبنان ودرس الفقه الحنفي وبرع فيـه فأصبحت فتاويه دستوراً واحكامه منارةً ، واكثرها محفوظ في بيت المرحوم صاحب « تاريخ العاقورة »[2] .

وفي ٢٤ آب سنة ١٦٤٨ رقّاه البطريرك يوسف العاقوري الى مطرانية العاقورة فسكن مع البطريرك في قنوبين لانه وجد كرسي ابرشية العاقورة متداعياً ،ونقل الى خزانة البطريركية كل ما وجده هناك من مخطوطات تاريخية قديمة .

وعاش مديدًا ، وفي اواخر القرن السابع عشر في نحو السنة الـ ١٦٩٣ كان لا يزال يعطي الفتاوى ويسمع الدعاوى ويُصدر احكاماً ممهورة بخاتمـه الرسمي ومكتوب في اعلاها : « الحقير جرجس بن حبقوق البشعلاني مطران العاقورة »[3] .

ووجد بين مخطوطات الكرسي المشار اليه نسخة مثل نسخة ذلك المخطوط النفيس الذي ترجمه داود بن ابراهيم الحاقلي عن اصل سرياني قديم ومذكور فيه البطريرك يوحنا مارون الاول وخلفاؤه قورش وجبرائيل ويوحنـا مارون الثاني ويوحنا الدملصي فسلمه الى العلامة الدويهي .

وكرسي مطرانية العاقورة من اقدم الكراسي المطرانية في لبنان واقربها من الكرسي البطريركي في يانوح ، وفيها حفظت ودوّنت تقاليد طائفتنا القديمة .

١) الدويهي ، تاريخ الازمنة لسنة ١٦٥٤

٢) البرديوط لويس الهاشم ، الوكيل البطريركي في ناحية العاقورة .

٣) مجلة المشرق : عدد ١٤ سنة ١٩٠٢ .

وقد توالى هناك منذ البدء حتى سنة ١٧٣٦ التي عُقد فيها المجمع اللبناني اكثر من ثمانين مطراناً .

ولا يبعد ان يكون في عداد خلفاء يوحنا مارون الذين لم تذكر عيالهم ولا قراهم ولا مدنهم بطاركة عاقوريون ، لانه ظهر بعدئذٍ ان يوحنا الذي سبق جبرائيل من حجولا كان عاقورياً ، ويشهد التاريخ بأن بطاركة الامة المارونية قد توطنوا يانوح اجيالًا عديدة . ويانوح على قاب قوسين من العاقورة ، لذلك كانت كرسي العاقورة اغنى الكراسي بالمخطوطات القديمة ، التي سُلّمت للدويهي فاستعان بها على تنظيم سلسلة بطاركتنا .

جرجس البسبعلي : انتُخب في اول كانون الثاني من سنة ١٦٥٧ ونال براءة التثبيت في سنة ١٦٥٩ .

قال دي لاروك : « انه كان بارعاً في علم الحقوق البيعية ، وكان علامة عصره ، يجيد التكلم بلغات الشرق ، وخاصة باللغة التركية ، فكان يخاطب حكام البلاد واولياء الشان في الاستانة ويضع التقارير لاطلاع البـاب العالي رأساً على احوال البلاد وابلاغه شكاوى المظلومين بدون حاجة الى ترجمان ».

كان لطيف العشرة ، سريع الخاطر ، يجذب اليه قلوب الناس مهما علت مراتبهم وتسامت طبقاتهم . وهو الذي قدر العلامة الدويهي قدره فرقاه الى الدرجة الاسقفية وخدم بذلك العلم والفضيلة احسن خدمة .

امتحنه الله بأمراض احتملها بصبر. وقضى نحبه في سنة ١٦٧٠ في دير مار شليطا مقبس .

اسطفان الدويهي : تمَّ انتخابه في ٥ ايار سنة ١٦٧٠ وأُثبت في ٨ آب سنة ١٦٧٢ . تخرج في مدرسة رومية . تعاطى في بادئ الامر مهمة القاء المواعظ وانشأ مدرسة في اهـدن . ثم ارسله البطريرك يوحنا الصفراوي الى حلب

فأقام هناك خمس سنوات، هدى في خلالها عدداً غير يسير من روم ونساطرة ويعاقبة الى الايمان الكاثوليكي .

عاد الى لبنان في سنة ١٦٦١ وبقي فيه مثابراً على القاء المواعظ مدة سبع سنوات ، ثم رقي الى اسقفية قبرس واخذ يبذل مزيد العناية في تدبير شؤون الجزيرة . وبعد ذلك عهد اليه بزيارة ايالة طرابلس فتسنّى له جمع معلومات مكنته من تأليف تاريخ الطائفة وتنظيم سلسلة بطاركتها .

وبعد ان صار بطريركاً سكن مدة في قرية مجدل معوش بالقرب من امراء بني معن ،ولم يبقَ في كسروان بسبب استفحال الخلاف بين المشايخ الخوازنة . وبعد حين عاد الى كرسي قنوبين بناء على الحاح زعماء الجبّة وتعهدات حكامها الشيعيين ، بانهم لا ينقضون عهودهم معه .

قال معاصره وكاتب ترجمة حياته البطريرك سمعان عواد : « طاف الدويهي في كل الابرشيات واختار كهنة ذويَ علم وتقى ، وفحص الكتب البيعية واصلح ما اوقعه فيها النساخ من اغلاط،وردّ القواعد الى اصلها،وغربل مصاحف المؤرخين ومصنفات الآباء القديسين من شرقيين وغربيين ، وألّف كتباً عديدة محفوظة في مدرسة رومية » .

وقال الخوري مارون الدويهي في رسالة تجد نسخة منها في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت : « جلس على السدة البطريركية الجليل بين الرؤساء والنبيل بين العلماء الشديد الغيرة على الدين الشهير بعلومه مار اسطفانوس الدويهي الذي ضاهى الآباء القديسين بتصانيفه وتفاسيره ، من جملتها « منارة الاقداس » الكتاب المشتمل على منارات في شرح الاسرار ، الحاوي البراهين الدامغة والشروحات الضافية والآراء السديدة ، هذا عدا ما له من مؤلفات ومواعظ وتواريخ جلت عن الطائفة شبهات الضلال أهمها كتاب « ردّ التهم » و« كتاب الاحتجاج » و « تاريخ الازمنة » ، ويزيد عدد تآليفه على الثلاثين . وفي عهده كانت الامة تباهي براعيها وحيد عصره وفريد دهره » .

بهذا المديح قصد الخوري مارون افهام الناس ان الدويهي اجتهد في اصلاح

شؤون طائفته بكل وسيلة استطاع اليها سبيلًا، ولهذا كانت الامة قريرة العين برئاسته. ولا عجب في وصفه اياه بانه فريد دهره، وقد سبقه المطران جرمانوس فرحات الى القول: «انه لم يقم عند الموارنة مثل الدويهي عالم غيور على ملته».

وقال البطريرك سمعان عواد: «ان الدويهي لم يذق طعم الراحة من جراء حروب كثيرة جرت في ايامه، وقد احتمل مشقات ومظالم عديدة واضطر في احيانٍ كثيرة ان يصنف كتبه في محال نائية. واما شظف معيشته فقد بلغ الحد الاقصى، في كل حياته لم يأكل لحمًا الا عند اعتلال صحته، وبناء على اشارة طبيب وعلى الحاح مرشد».

هرب يعقوب، اسقف مرعش الارمني الكاثوليكي، من اضطهاد وقع على طائفته في اواخر القرن السابع عشر ولجأ الى حمى بطريركنا الدويهي فاستقبله بكل ترحاب، وبقي عنده المطران يعقوب ضيفاً مكرماً سنين عديدة الى ان خمدت نار الاضطهاد.

حوالي سنة ١٦٩٤ نشأت رهبانية القديس انطونيوس بفضل عنايته ثم ازدهرت بتدريبه وتوجيهاته فصار اثباتها من قبله اولًا ثم من قبل الحبر الاعظم.

تدخل في سنة ١٧٠٠ مع ملك فرنسا لرفع الحيف عن اللبنانيين المقيمين في جبة بشري وعن جميع النصارى في لبنان، فكان له ما طلب بفضل تدخل السفير الفرنسي لدى الباب العالي الذي طالب بان تظل حماية فرنسا لنصارى الشرق مرعية دون انفصام.

في ايامه رفع بطريرك اليعاقبة في حلب الى الباب العالي عريضة قال فيها: «لماذا لا يطلب البطريرك الماروني الفرمان السلطاني أسوةً بباقي بطاركة المشرق؟ أفليس الموارنة محسوبين من جملة رعايا السلطنة العثمانية؟» وعقب ذلك طُلب من البطريرك ان يقدم طلباً للحصول على الفرمان. اما الدويهي فاعتصم بامتيازات طائفته وحماية فرنسا فتخلص بذلك من هذه الورطة.

وفي ٣ ايار من سنة ١٧٠٤ توفي هذا البطريرك العظيم ولم يطل الامر حتى أصبح ضريحه محجاً لزوار كثيرين كانوا ينالون بشفاعته منحاً ونعماً غزيرة.

جبرائيل البلوزاني : في ١٢ ايار من سنة ١٧٠٤ انتخب في دير مـار شليطا مقبس في كسروان البطريرك جبرائيل من بلوزا . ولما تعين يوم مجيئه الى كرسيه في قنوبين أُعد له استقبال حافل وارسل الشيخ عيسى حمادة المتولي مقاطعة الجبة احد انجاله على رأس اربعين خيالًا لمواكبته. وارسل باشا طرابلس نوبة حكومته مع عدد من الموظفين ليشتركوا باستقباله مع المشايخ والاعيان وجمهور الشعب .

ولم يطل عهد رئاسته ، اذ ادركته المنيـة في ٢١ تشرين الاول من سنة ١٧٠٥ .

وكان في ايام اسقفيته قد اسس الرهبانية الانطونيـة وأنشأ دير طاميش للرهبان اللبنانيين .

بطاركة القرن الثامن عشر

يعقوب عواد : انتخب في اول تشرين الثاني من سنة ١٧٠٥ ، وأُثبت في سنة ١٧٠٦ .

قال الخوري مارون الدويهي : « كان هذا البطريرك عالماً فصيح اللسان مهيباً مهذّباً ، ومن متفوقي تلامذة رومية . جلس على الكرسي البطريركي يوم كانت الطائفة تتلاطم فيها امواج السجس والبلايا » .

اختلف المؤرخون في أمره ، فقال البطريرك بولس مسعد : « ان حسّاده أنزلوه عن الكرسي البطريركي ظلماً وعدواناً » . وهكذا قال الخوري يوسف الدويهي. غير ان المطران جرمانوس فرحات نسب كل ما جرى من قلق واضطراب الى قلة تدبيره وعدم احسانه التصرف مع مرؤسيه ، والى تدخل بعض اقاربه في شؤون البطريركية ، وراجت حول سلوكه اشاعات اعتقد صحتها المطران جرجس يمين الاهدني فاستدعى الاساقفة الى دير مار شليطا مقبس في كسروان فعقدوا اجتماعاً هناك وطلبوه اليه للمحاكمة .

لم يتأخر البطريرك عن الحضور ، وهنا نتساءل باي سلطان طلبه الاساقفة للمحاكمة . ألم يكن من حقه ان يعلن اجتماعهم ذاك غير قانوني ، ويأمرهم بان ينصرف كل منهم الى ديره ، والا اعتبر كل ما يقررونه لغواً باطلاً ؟ وهل يُحاكم بطريرك بدون تفويض من قبل المجمع المقدس ؟

ومع ذلك مثل البطريرك يعقوب امام هؤلاء المنتحلين صفة القضاء . قيل انه حضر ليبدد الاوهام ، ويقطع دابر الخلاف ، ولم يدرِ بما حيك حوله من دسائس ، ولا بما كان من تأثير للمشايخ الخوازنة على المطارين في تلك القضية. فحُوكم البطريرك وصدر الحكم بحطّه عن مقامه وسجنه في دير قرب صيدا .

البطريرك طوبيا الخازن

البطريرك فيلبس الجميّل

وأُقيم مكانه السيد يوسف مبارك الريفوني ، فرُفعت رقاع الدعوى الى المجمع المقدس ، وشخص المطران يمين مع بعض شهود الى رومية للمدافعة عن اجراآت مجمع الاساقفة .

ولكن الحبر الاعظم وجه الى لبنان حارس القبر المقدس ليحقق في الامور وامره بأن يعلن قبل مباشرة الفحص كل ما أُجري لغوًا باطلًا ، اذ ليس لمجمع الاساقفة ان يُجري ما اجراه بدون قرار من قبل المجمع المقدس .

وصل الموفد البابوي الى لبنان في شهر تموز سنة ١٧١١ وأجرى التحقيق المقتضى ورفع تقريره الى الحبر الاعظم . فنظر المجمع المقدس في هذا التقرير ووقف على ما ادلى به المطران يمين من حجج ، واخذ افادات الشهود الذين رافقوه فظهرت له براءة البطريرك. واصدر حكماً بارجاعه الى منصبه ، وانزال عقوبة التأديب بالمطران يمين ومنعه من الرجوع الى لبنان .

ولم يكن تنفيذ هذا الحكم بالامر الهيّن ، وكان المشايخ الخوازنة يلحون على الاساقفة بأن يراجعوا رومية بالامر ، فتدخل القنصل بوللار وأَقنع الجميع بالعدول عن المراجعة ، والرضوخ لاوامر الكرسي الرسولي ، فوقّع الاساقفة عريضة اعربوا فيها عن تمام خضوعهم . وعاد البطريرك يعقوب الى كرسيه بعد غياب سنتين وعاش بعد ذلك اثنتين وعشرين سنة .

وفي سنة ١٧٢٥ اشتد الاضطهاد في حلب على الروم الملكيين المنضمين حديثاً الى الكنيسة الكاثوليكية ، بناء على طلب بطريرك الروم القسطنطيني. فلجأ جمهور منهم الى جبة بشري ، فاستقبلهم البطريرك يعقوب بكل ترحاب ، وانزلهم في دير قزحيا ، فوشى بهم روم الكورة بالاتفاق مع روم طرابلس الى الوالي ،وحرّضوه على الانتقام منهم ومن الموارنة مجيريهم بحجة انهم خانوا الدولة وهربوا من حكمها . واذ علم البطريرك بهذه الدسيسة رأى من الحكمة ان يغادر كرسيه في قنوبين الى دير قزحيا ، وهناك اخذ يشجع اللاجئين . وكتب الى المشايخ الخوازنة واطلعهم على ما هو جارٍ من الدس عليهم فأرسلوا احدهم الشيخ عبدالله بن خطار الخازن ، صديق والي طرابلس ، وكان في ما مضى قد

ولّاه على بلاد عكار ، ليسعى بفضّ المشكلة ، فتوفق في مسعاه ، وارسل اولئك الحلبيون من الروم الكاثوليك الى جهة كسروان حيث عاشوا براحة وامان .

وتوفي البطريرك يعقوب عواد في ٩ شباط ١٧٣٣ .

في عهده وُجد علماء كثيرون اعظمهم الخوري بطرس التولاوي البتروني ، وكان مسكنه في مدينة حلب ، وقد أَفاد كثيرين بوعظه وتعليمه والكتب التي صنفها أو نقلها من اللاتيني الى العربي . وكان ذا براعة وشجاعة في الجدال فردّ كثيرين من الروم والارمن والنساطرة واليعاقبة الى الايمان الكاثوليكي. وكان ذا مكانة حتى عند الامم غير النصرانية . رتّب طقوساً وعباداتٍ شتى، وصار له جملة تلاميذ، من الروم اثنان وهما عبدالله زاخر والخوري نقولا الصائغ اللذان ردّهما الى الايمان الكاثوليكي ، ومن طائفتنا المطران عبدالله قرألي موسس الرهبانية ومنظم مجموعة الشرائع المارونية ، والمطران جبرائيل فرحات الشهير بعلم النحو ومؤلفاته الكثيرة .

يوسف ضرغام الخازن : انتخب في ٢٤ شباط سنة ١٧٣٣ . في عهده عُقد المجمع اللبناني .

اجتمع رؤساء الامة والحكام والمشايخ وارتأوا ان يطلبوا قاصدًا رسولياً لعقد مجمع يقرر اصلاح ما يجب اصلاحه . ورفعوا العرائض الى الاب الاقدس والى المجمع المقدس ملتمسين تعيين السيد يوسف السمعاني للقيام بهذه المهمة الخطيرة فأجيب الالتماس .

وصل القاصد الى لبنان وزايل البطريرك قنوبين الى كسروان . وفي ٣٠ ايلول سنة ١٧٣٦ عُقد المجمع في دير اللويزة . وعندما اراد السمعاني ان يضع بعض القضايا موضع العمل عاكسه السيد البطريرك ورُفع الامر الى المجمع المقدس وَفضَّ الخلاف البابا بنديكتوس الرابع عشر وثبّت المجمع تثبيتاً خاصاً في سنة ١٧٤٤ .

وتوفي البطريرك في ١٣ ايار من سنة ١٧٤٢ .

قيل عن السمعاني انه لو لم يضع من المصنفات غير المجمع اللبناني لكفى ذلك برهاناً على سعة علمه . فهذا المجمع هو زبدة المجامع العامة الاقليمية ، وقد اطرأت براءة البابا المذكور ما اظهره من حكمة في ادارة المجمع وفي معرض تثبيته بصورة خاصة .

كان هذا العالم متحرياً في احكامه ، مسدّدًا في الفتاوى ، ولذا كان موفور الكرامة لدى الاحبار الاعظمين . اتصل باكليمنت الحادي عشر فرفع منزلته ، وكان صاحب كلمة نافذة عنده . وعيَّنه اكليمنت الثاني عشر في سنة ١٧٣٨ مستشارًا في مجمع نشر الايمان . وكان العمدة في خدمة مصالح الشرقيين من كل الطوائف ، وظهرت حكمته في ما اداه من خدم للرهبانيات المارونية والملكية الباسيلية . وقد اعتُرف له بالفضل والغيرة على ارتداد الطوائف المنفصلة كالاقباط والنساطرة واليعاقبة والروم والارمن . نظمه بنديكتوس الرابع عشر في جملة المستشارين في مجمع الفحص المقدس ثم سماه اكليمنت الثالث عشر عضوًا في ديوان التوبة .

طاف السمعاني في كل انحاء المشرق وجمع مخطوطات كثيرة . وله مصنفات عديدة احترق قسمٌ كبيرٌ منها . وله مؤلف نادر المثال معروف « بالمكتبة الشرقية » في اربعة مجلدات ضخمة تحوي تواريخ الطوائف الشرقية وخاصة الطائفة المارونية .

سمعان عواد : انتخب بطريركاً ، لكنه رفض قبول هذا المقام السامي زهدًا وتعففاً ، فصار انتخاب السيد الياس محاسب . وكان المطران طوبيا الخازن غائباً فأدعى انه لم يبلغ الدعوة الى مجمع الانتخاب فاعترض على قانونيته ، واتفق مع اثنين من المطارين على سيامة مطرانين انضما الى مريديه من الاساقفة وعقد الكل مجمعاً اقاموه فيه بطريركاً ، ثم رفع كل من المنتخبين قضيتهُ الى رومية .

ولم يطل الامر حتى حكم الحبر الاعظم ببطلان الانتخابين ، وبما انه لم

يرَ من المناسب ان يُعاد الانتخاب تفادياً من وقوع خلاف وبلبلة عيَّن بملء سلطانه وبصورة استثنائية السيد سمعان عواد بطريركاً . وكان ذلك في ١٦ اذار سنة ١٧٤٣ . وارسل اليه في ١٣ تموز من السنة نفسها درع كمال الرئاسة مع براءة تثبيت سيأتي ذكرها .

اقام هذا البطريرك في ناحية الشوف لتسهل عليه المراجعات مع امير لبنان واختار محلًا لسكنه في اقليم جزين قرب صيدا حيث بنى ديرًا للرهبان اللبنانيين يعرف بدير مشموشه .

له مواعظ غير مطبوعة جمعت في مجلد ضخم، وله تآليف في اللاهوت الادبي. توفاه الله في ١٢ شباط من سنة ١٧٥٦ ودفن في كنيسة دير مشموشه .

وهنا نرى من المناسب ان نذكر براءة الحبر الاعظم الموجهة اليه تنويرًا للافهام . فمما قاله فيها : « ان سبب الاختلاف هو ان ستة من رؤساء الطائفة انتخبوا الياس مطران عرقا ، واجتمع في موضع آخر مطارين آخرون قليلون وتجاسروا على انتخاب بطريرك هو طوبيا مطران نابلس ، وكل من الفريقين التجأ الينا لكي نقبله ونثبته في وظيفته .

« اما نحن فبموجب وظيفتنا الرسولية سلكنا في هذه المسألة بكل تأنٍ واناة ، وامرنا بعضاً من اخواننا الكرادلة المحترمين المعهود اليهم على مقتضيات الايمان، بان يفحصوا انتخاب البطريركين المذكورين ،وبعد تأكيدهم الاسباب الكبيرة التي تفصح عن فساد الانتخابين اعلنوا انه يجب رفضها لانها عادمة شروط القبول ، ولا دواء لها ، فصار من وظيفتنا الرسولية ان نقيم نحن بذاتنا احد الرؤساء البيعيين ممن فيهم اللياقة بطريركاً على الطائفة المارونية .

« لهذا نحكم بمشورة المجمع المذكور بل وبعلمنا الاكيد وسلطتنا الرسولية المطلقة ونقضي،بعد فحصنا الكامل من الجهتين ونظرنا في كل ما اورده الفريقان ، قضاء مبرماً بان انتخاب الياس مطران عرقا من ستة مطارين وانتخاب طوبيا مطران نابلس من مطارين قليلين هما باطلان. ونحكم بان لا صحة لهما ابدًا . وان كنيسة البطريركية بعد وفاة يوسف البطريرك ، لم تزل فارغة الى الان

وان المطرانين المذكورين اللذين انتخبا همـا عادما كل حق وتصرف ورئاسة بطريركية ، وكذا كل ما عملاه بسلطتهما التي ادعيا بها هو باطل فارغ لا قوة له... وللكرسي الرسولي ان ينتخب احد الرؤساء للكرسي البطريركي الانطاكي الماروني الفارغ بعد وفاة يوسف البطريرك .

« ونرسم بان يكون حكمنا هذا ثابتاً لا يسوغ لاحد ان يراجع به ، ونأمر بان يرضخ الجميع لحكمنا هذا بدون مراجعة ... »

وعين البادري يعقوب دي لوكا من رهبان مار فرنسيس المحافظ على جبل صهيون، قاصداً رسولياً ليذهب الى جبل لبنان ويشهر على رؤساء الطائفة المارونية احكام المجمع المقدس بابطال انتخاب المطرانين المقدم ذكرهما وباقامـة سمعان عواد بطريركاً .

فتوجه الاب المذكور الى كسروان واستدعى رؤساء الاساقفة والاساقفة واكليروس الطائفة واعيانها الى دير مار انطونيوس البادوي في حريصا وتلا على مسامعهم المراسيم البابوية فاظهروا ملء الخضوع والانقياد ونادوا : «البابا بنديكتوس حكم في هذه المسألة من قبل الله فليكن كما حكم » .

عندئذٍ كتب القاصـد الرسولي الى الحبر الاعظم والى المجمع المقدس عن الطاعة التي اظهرها الموارنة لمراسيم الكرسي الرسولي . لذلك قرظ البابا هذه الطائفـة باجمل التقاريظ وكان ذلك في ١٣ تموز من سنة ١٧٤٤ . وهذا قول قداسته :

« ليس بخافٍ انه في اواخر الجيل السابع عندما ظهرت بدعة القائلين بمشيئة واحدة في المسيح فسدت رعية البطريركية الانطاكية ، حينئذٍ رأى الموارنـة حفظاً لملتهم وصيانةً لها من ذاك الفساد ان يجمعوا عـلى انتخاب بطريرك لهم يثبته الحبر الروماني. ولما كرت الاجيال وتملك الشراكسة انطاكية وطردوا منها اللاتين الكاثوليك الذين التجأوا الى جبل لبنان، قبلهم بطريرك الموارنة قبول مودة ، لهذا جمله وشرفه البابا اسكندر الرابع باسم البطريرك الانطاكي. وما زال بطاركة الموارنة متمسكين بهذه التسمية مع انهم اقاموا كراسيهم في لبنان.

« لقد كان الموارنة كما هم الان كاثوليكيين حقاً ، مرتبطين بالاتحاد مع هذا الكرسي الرسولي ، لكن بما انهم بشر لا عجب اذا حدث عندهم امر بشري في ما يختص ببطريركهم. وربما يذكر كلٌّ منكم ما جرى في عهد اكليمنضوس الحادي عشر السعيد الذكر ؛ فانه اذ بلغه ما كان من عزل البطريرك يعقوب وما لحق بذلك الحبر الجليل من الاهانة التى التحقت ايضاً بحقوق الكرسي الرسولي الذي كان قد اثبت انتخابه ، وجه الى جبل لبنان حافظ القبر المقدس فاحصاً رسولياً ليقف على ما ادعوا به على البطريرك المشار اليه ، ويرفع كل ذلك الى هذا الكرسي الرسولي المقدس. وعندما تم ما عهد بـه اليه قدمه الى المجمع المقدس، مجمع نشر الايمان، الذي فحص الدعوى فحصاً شافياً فتأكد براءة ذلك البطريرك وحكم برجوعه الى كرسيه البطريركي المنحط عنه ظلماً . . . وأنهي الامر بكل طمأنينة. وكان ذلك دليلًا جديدًا في الموارنة يوضح حسن طاعتهم وخضوعهم للكرسي الروماني .

« نحمد الله انه لم يحدث في زمن رئاستنا عندهم عزل بطريرك ، انما حدث حادث آخر كدرنا كل الكدر وهو انه في سنة ١٧٤٢ انتقل الى رحمـة الله يوسف بطرس الخازن البطريرك فاجتمع المطارنة والاساقفة لكي ينتخبوا خلفاً للمتوفى وانقسموا قسمين قسم انتخب الياس محاسب مطران عرقـا بطريركاً ، وقسم انتخب طوبيا الخازن مطران نابلس ، وهنا يمكن كلًّا منكم ان يدرك عظم السجس والاضطراب اللذين حصلا بين الموارنـة في جبل لبنان بداعي انقسامهم في الانتخابين المذكورين . فكنا نخشى حصول ضرر بليغ للديانـة الكاثوليكية في هاتيك الديار .

« فبعد الفحص المدقق رأينا ان نعتمد اقتفاء اثر البعض من سلفائنا في مثل هذا الحادث، فانهم حدّدوا ان لا يتلف حق احد، ولا يعدم حق الانتخاب القانوني. ثم لما تبصروا بان المنتخب ولو كان بارًا زكياً الا انه لا يفيد البيعة خيرًا وان القلق والسجس لا يبطلان ، بل يزدادان اذا فضِل احد المنتخبين على الاخر ، وان لا سبيل الى حصول السلامة الضرورية في سياسة الشعب، استصوبوا انتخاب

شخص آخر غير المنتخَبَين سابقاً واثبتوا المنتخب جديداً من اصحاب القرعة. ولنا بذلك مثل واضح مصرح به في التواريخ البيعية وهو انه لما توفي القديس اوسطاتيوس بطريرك انطاكية انتخب الاريوسيون لهم بطريركاً من تباع اريوس اسمه اوديوس وانتخب الكاثوليكيون لهم بطريركاً هو ملاتيوس ، فابطل هذين الانتخابين ولا شاهما لوكافروس اسقف كالري واوسابيوس اسقف فرشللي اللذان كانا قاصدي الكرسي البابوي في بلاد الشرق ، واقاما بولينوس بطريركاً ثم اثبت ذلك الحبران الاعظمان ليباروس ودماسيوس واقتبله ايضاً القديس اثناسيوس مع كنيسة الاسكندرية والقديس ايرونيموس الذي سيم كاهناً من بولينوس المذكور.

« فنحن ايضاً قد اعتبرنا ذلك المثل المشهور الواجب الاتباع واقتدينا به قصد استئصال المنازعات من الملة المارونية والقاء السلام فيها فانتخبنا واقمنا سمعان بطرس عواد مطران دمشق بطريركاً على الموارنة ،فان المذكور قد تروض من صغره بالعلوم الالهية والادبية في مدرسة الموارنة برومية ، فاحرز ذكراً حميداً ، والآن هو الاقدم في اساقفة الموارنة ، ولم يختلط بالمنازعات المقدم ذكرها ، بل اظهر ذاتهِ متجنباً رغبة الرئاسة ، وقد افرغ جهده كيلا يرتقي الى مقام البطريركية ، لذلك نحن قد حكمنا بانه اهل لها دون غيره ، فمنحناه وظيفة البطريرك ، أملاً في ان يحصل من ذلك خير للكنيسة المارونية، ويزول الشقاق بالكلية . ولهذا قد امرنا بكتابة براءة رسولية وارسالها الى الاب يعقوب دي لوكا النائب الرسولي في الارض المقدسة الذي اقمناه قاصداً رسولياً الى الموارنة وقد صرحنا في براءتنا ان انتخابنا البطريرك المذكور لم يكن منا لابطال حقوق الاساقفة الموارنة في انتخاب بطاركتهم في مستقبل الزمن ، انما قصدنا بذلك قطع النزاع وحسم الخلاف، وارجاع الهدوء والسلام الى كنيستهم . فهذا ما وجب بيانه لكم قبل تلاوة رسائل البطريرك المنتخب ورسائل الاساقفة الموارنة ومما تتضمنه ستفهمون جيداً ما قد تم في هذه المسألة » .

ثم تسلم الحبر الاعظم الرسائل من يد المنسنيور يوسف السمعاني وبعد تلاوتها قال الحبر الاعظم :

« قد علمتم ايها الاخوة المحترمون ان قد انتهى بعون الله تعالى امر انتخاب البطريرك الانطاكي بكل سلام ، وبالنوع المقصود منا بالهامه تعالى ، وان سمعان بطرس عواد مطران دمشق قد ارتقى الى البطريركية، وبراءتنا الرسولية قد قُبلت باحترام جزيل ، والمطرانان الياس وطوبيا المنتخبان للمقام البطريركي، كما سمعتم آنفاً ، حالما سمعا بانتخاب البطريرك المقام منا رضخا حالًا وقدما له الطاعة والخضوع واوضحا بذلك علناً عظم طاعتهما لهذا الكرسي الرسولي . ويستحق الثناء المطارنة والاساقفة والطائفة المارونية اجمالًا .

« لاجل ذلك نحن نجمّلهم ايضاً بتلك المدائح السامية التي سبق وجمّلهم بها سلفاؤنا الاحبار الاعظمون، فان البابا بيوس الرابع في بعض براءاته قال عنهم : « انهم الالاف الكثيرة الذين لم يسجدوا لباعال قط ، ومع انهم محاطون من الهراطقة والمشاقين استقاموا ثابتين على الامانة المسيحية والديانة الكاثوليكية».

« وقد اثبت هذا القول البابا اكليمنضوس الثامن واضاف قائلًا : « ان الموارنة قدموا دائماً وابداً الطاعة للكنيسة الرومانية ام سائر المؤمنين ومعلمتهم».

« وقال البابا بولس الخامس:« ان الموارنة يشبهون الورد بين الاشواك » .

واجاب البابا اوربانوس الثامن في براءته الرسولية قائلًا : « لم ينقص بهاء الكرمل ولم يذوِ مجد لبنان، فان بطريرك الموارنة واساقفتهم وكهنتهم يحترمون سلطان مار بطرس ويكرمونه بشخص الكرسي الرسولي والحبر الروماني » .

« وقد اطراهم بمثل هذا المديح واكثر منه البابا اكليمنضوس الحادي عشر في براآته الرسولية المنشورة بالطبع مادحاً بها الطائفة المارونية » .

طوبيا الخازن : انتخب في ٢٨ شباط سنة ١٧٥٦ . سكن في عجلتون مسقط رأسه . وتوفي في ١٩ ايار من سنة ١٧٦٦ . انشأ دير بقعاتا .

يوسف اسطفان: هو من تلامذة مدرسة رومية . انتخب في ٩ حزيران سنة ١٧٦٦ وأُثبت في ٦ نيسان من سنة ١٧٦٧ . في عهده تكررت الشكوى على الراهبة هندية مؤسسة راهبات قلب يسوع وأبان التحقيق الاخير أنها مغرورة متمسكة باعتقادات باطلة فالغى الحبر الاعظم مؤسستها واقتضى ان يرجع البطريرك عن اعتقاده بقداستها وان ينفّذ المرسوم القاضي بلاشاة جمعيتها .

ووصلت الى رومية على هذا البطريرك شكاوى اقتضت استدعاءه اليها فلبّى الطلب وسافر من فوره بطريق يافا ولكنه مرض في الطريق فاضطر الى التوقف في دير مار الياس الكرمل وبقي هناك ريثما وقّع بيده مرسوم طاعته لرومية ومن ثم اعيد مكرّماً الى منصبه البطريركي .

وفي سنة ١٧٨٧ اوفد هذا البطريرك معتمداً من قبله الى باريس يطلب باسمه من الملك لويس السادس عشر قنصلية ببيروت للشيخ غندور بن سعد الخوري فاستُجيب طلبه .

وكان البطريرك بعد ذلك ، بناء على اقتراح الشيخ المذكور ، قد حوّل دير عين ورقة الى مدرسة اكليريكية عامة وبعمله هذا المجيد فتحت الطائفة المارونية تاريخ التربية في لبنان ، كما كانت قد فتحت تاريخ استقلاله .

مثَّلت عين ورقة ، ام المعاهد في لبنان ، دوراً خطيراً في الحقول الثلاثة الديني والوطني والثقافي ، لانها انجبت للطائفة المارونية خمسة بطاركة ، وثلاثين مطراناً ، وتخرج فيها عدد كبير من الكهنة ، ومعظم مؤسسي المعاهد ، كمدارس مار عبدا والرومية والكريم. فقد تخرج منها كثيرون من رجال العلم والسياسة كالمعلمين من آل البستاني وشدياق ودحداح وغيرهم ممن ذاعت اسماؤهم وطارت شهرتهم في الشرق .

وللبطريرك يوسف اسطفان تأليف في مار يوحنا مارون لم يُنشر بالطبع . وله رسالة في تربية الاولاد ، وكتابات عدّة في مواضيع لاهوتية وقانونية وطقسية .

توفاه الله في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣ في دير مار يوسف الحصن وفيه دفن .

مخايل فاضل : انتخب في ١٠ ايلول سنة ١٧٩٣ . وصلت اليه درع الرئاسة بعد وفاته في ١٧ ايار سنة ١٧٩٥ . كنّي بكوكب الشرق لزيادة علمه. خدم الكرسي الانطاكي سنة وثلاثة اشهر .

فيلبوس الجميل :أقيم في ١٢ حزيران من سنة ١٧٩٥ وتوفي في ١٠ نيسان سنة ١٧٩٦ . وصلت اليه براءة التثبيت بعد وفاته. وكانت مدة رئاسته عشرة اشهر .

بطاركة القرن التاسع عشر

يوسف التيان : كان انتخابه في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦ . اثبته البابا بيوس السادس في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧ وقال عنه : « انه شاب في سنّه ، شيخ في حكمته » . ادار شؤون الكرسي الانطاكي مدة اثنتي عشرة سنة واستقال في ٩ تشرين الثاني سنة ١٨٠٨ .

في اوائل سنة ١٧٩٩ زحف القائد الفرنسي نبوليون بونابرت بجيشه على سورية ، بعد ان كان قد افتتح مصر. ووجّه الى الامير بشير حاكم لبنان منشوراً قال فيه : « قد افتتحت مصر وقطعت التيه ودخلت سورية وهزمت جيش الجزار وحصرته في عكا فاطلب ان توافوني لنسحق العدو المشترك » . ولما كان الامير واقفاً على قوة عكا الدفاعية التزم الحياد ، وكان ينوي الانضمام الى الجيش الفرنسي بعد سقوط قلعتها[1] .

اما البطريرك فأوعز الى ابنائه بأن يتطوعوا في الجيش الفرنسي، والى الشيخ يوسف حمزة حبيش بأن يقود المتطوعين الى ساحات الوغى . وامر بارسال مؤن وذخائر الى الجيش الفرنسي مع وفد من اعيان البلاد لكن بونابرت فشل في هجوم ٢٢ اذار سنة ١٧٩٩ .

وقد طالعنا مفكرات الخوري بطرس الحكيّم[2] ، الذي تولى مدة طويلة كتابة سر القصادة الرسولية. ومن هذه المفكرات استقينا ما ندونه في كتابنا هذا من امور تتعلق بالبطريركين يوسف التيان ويوسف حبيش .

---

١) ناست ، مجلد اول ص ٥٧٤

٢) في بيت ابن اخيه المحامي امين الحكيّم .

قال الخوري بطرس المذكور : « لم يكن الامير بشير حاكم البلاد على وفاق مع البطريرك يوسف التيان، فكان البطريرك قد تهدده بالحرم ان لم يرجع عن عزمه على رفع قرش الميرة الى ستة قروش فالشعب كان يتذمر من فداحة الضرائب والبطريرك كان يناضل عن حقوق الشعب المظلوم .

« فاستدعى الامير القاصد غوندلفي الى القصر وافهمه ان من المستحيل عليه التفاهم مع البطريرك ، وان لم يعد بامكانه الصبر . ففي الحال بادر الى مقر البطريرك في دير مار شليطا مقبس وبلغه ما افضى به اليه الامير فقال غبطته : « بذلت كل ما بوسعي لاجل الاتفاق مع حاكم البلاد . اشرت عليه ان يصالح ابناء عمه اولاد الامير يوسف فضرب بنصحي عرض الحائط فكانت الحروب والفتن ، طلبت ان يعدل عن رفع قرش الميري الى ستة قروش فلم يجب طلبي ، فكانت الثورة العامة المعروفة « بعامية لحفد » ، فجرّت على البلاد الخراب والدمار . تدخل في الشؤون الروحية فأحدث ذلك تشويشاً في الادارة حملني على اعتزام رفع عريضة الاستقالة الى الحبر الاعظم وهذه عريضتي قد نظمتها منذ مدة ارجوك الاسراع بارسالها الى الكرسي الرسولي » .

وقد رُفعت هذه العريضة في ٣ تشرين الاول من سنة ١٨٠٧ الى الحبر الاعظم .

ما درى الاساقفة بامر هذه العريضة حتى بادروا جميعهم الى رفع عريضة الى الاب الاقدس ملتمسين عدم استجابة طلب البطريرك التنزل عن مقام شرّفه بعلمه وفضيلته. لكن البطريرك اصر على عزمه، وفي ٩ تشرين الثاني من سنة ١٨٠٨ ورد عليه جواب من المجمع المقدس مفاده ان قداسة الحبر الاعظم قد أُعجب بفضيلته لدى اطلاعه على مقاصده الممدوحة في تنزله عن المقام البطريركي وفيما هو منذهل من تواضعه تنازل وقبل استقالته وامره بان يواصل ادارة شؤون البطريركية الى ان يتم انتخاب خلفه .

وما طال الامر حتي استدعى القاصد المطارين الى دير مار يوسف عينطورا، فحضروا وتحت اشرافه انتخبوا المطران يوحنا الحلو بطريركاً ، في ٨ حزيران

سنة ١٨٠٩ فأثبته البابا بيوس السابع في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨١٠[1] .

قال الخوري بطرس المذكور : « ذهب البطريرك المستقيل لزيارة الاراضي المقدسة ، وبعد رجوعه سكن دير مار يوحنا مارون ، كرسي اخيه من امه المطران جرمانوس ثابت ، فعهد اليه بتدريس العلوم اللاهوتية » .

وفي نيسان ١٨١٨ عينه الكرسي الرسولي قاضياً في مجمع اللويزة الذي عُقد تحت اشراف القاصد غوندلفي ، وكان مداره على ثلاثة اشياء : اولًا افتراق الرهبان عن الراهبات في الاديار المختلطة . ثانياً تدبير الكرسي الانطاكي . ثالثاً تعيين كرسي ثابت لكل مطران ضمن ابرشيته . وأثبت البابا هذا المجمع ببراءة مؤرخة في ٢٥ ايار سنة ١٨١٩ .

لم يكن للطائفة المارونية في جبل لبنان قبل المجمع اللبناني سوى ابرشية واحدة هي الابرشية البطريركية يديرها البطريرك بمعاونة مطارينه، موزعاً عليهم بعض المدن والقرى ليقوموا فيها بوظيفة الاسقف ذي الابرشية . وقد أَوجد الابرشيات بحصر المعنى المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ فقسم البطريركية المارونية الى ثمان ابرشيات منها ابرشية البطريرك الخاصة ؛ واثبت البابا بنديكتوس الرابع عشر هذا التقسيم .

ومع ذلك ظل هذا التقسيم حبرًا على ورق الى سنة ١٨١٩ . وعندئذٍ اصبحت قضية تقسيم الابرشيات وثبات الاساقفة فيها مفروغاً منها .

قال الخوري بطرس الآنف الذكر ان البطريرك التيان في اثناء اقامته في كرسي مار يوحنا مارون اوعز الى اخيه المطران جرمانوس ثابت باستدعاء أعيان البلاد لعقد مؤتمر يصير فيه تسعير الحاجات وهكذا كان دعي الزعماء ، سنة ١٨١٨ ، فحضروا ووضعوا لكل حاجة او صنف من اصناف السلع سعرًا معتدلًا، وبما ان تجار البترون لم يتقيدوا بالقرار صدر بحقهم حرم ، طالعنا نصه مع اوراق الخوري بطرس المذكور .

---

١) حين يرفع البطريرك استقالته الى الحبر الاعظم يبادر قداسته الى تعيين خلف له . اما في هذه المناسبة فقد رأى ان يصير الانتخاب وانتدب ممثله للاهتمام بالامر.

وذُكر في المخطوط المشار اليه ان التيان قبل وفاته بمدة يسيرة ترك دير مار يوحنا مارون وذهب الى دير قنوبين فاستقبله البطريرك يوحنا الحلو بكل ترحاب. ورغب اليه بان يقيم عنده دائماً لينظم له رسائله الى رومية وقد كان قبلاً يرسلها اليه الى مدرسة مار يوحنا مارون مع ساعٍ خاص. ولم يطل الوقت حتى اعتراه مرض اودى بحياته المبرورة . وكانت وفاته في ٢٠ شباط من سنة ١٨٢٠ . ودفن في مغارة قنوبين مدفن البطاركة .

يوحنا الحلو : رأينا كيف تم انتخابه في ٨ حزيران سنة ١٨٠٩ ونقول الان ان اول عمل اتاه انما كان ارساله بعض رهبان لترميم دير قنوبين المهجور منذ ايام البطريرك يعقوب عواد . وفيما كانوا يشتغلون برفع الانقاض وجدوا صندوقاً يحوي صكوكاً مكّنته من استرجاع جملة اراضٍ تخص اوقافاً كان قد استولى عليها اهل الجوار . ثم حوّل دير مار يوحنا مارون ودير الرومية الى مدرستين اكليريكيتين ، وكان ذلك في سنة ١٨١٨ . وفي عهده عُقد مجمع اللويزة الآنف الذكر . وكانت وفاته في ١٢ ايار سنة ١٨٢٣ .

له احكام كثيرة[1] كان يطبق فيها الشرع الماروني الخاص، اذ كانت الدعاوى في ذلك الحين تُرفع الى البطريرك والى الاساقفة وكانت صلاحياتهم تتناول الاحوال الشخصية والحق المدني والتجاري والقضايا الجزائية. فكان لهم ان يحكموا بالنفي والغرامة المالية والسجن والحرم وهذه الصلاحيات كان معترفاً لهم بها منذ ايام البيزنطيين الى عهد محمد الثاني فاتح استنبول في سنة ١٤٥٣ ، الى زمن السلطان سليم فاتح مصر وسورية في سنة ١٥١٦ ، الى حكم الامراء المعنيين ثم الشهابيين .

---

١) طُبعت في مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونيه .

يوسف حبيش : انتخب في ٢٥ ايار سنة ١٨٢٣ واثبته البابا لاون الثاني عشر في ٣ ايار سنة ١٨٢٤ .

اشتهر اولًا بحرصه على تطبيق رسوم المجمع اللبناني في ابرشيته اولًا ، ثم في باقي ابرشيات الطائفة . وكان الاساقفة يقدرون قدره ويحترمونه ويتقيدون باشاراته. بذل اهتمامه في امر تهذيب وتثقيف الكهنة .واظهر البطريرك حبيش الحزم والاقدام والدراية في نضاله عن حقوق الامة . ودافع عن حرية لبنان واستقلاله وابدى حكمة ونشاطاً لاخماد نيران الفتن والحروب الاهلية واليك البيان .

اصدر منشورًا جمع فيه اهم قضايا المجمع اللبناني واسهب في شرحها وبيان طريقة وضعها موضع العمل ، واوجب على كهنة الرعايا القاء المواعظ في قداس ايام الاحاد والاعياد[1] .

أمر ان تدرّس في مدرسة عين ورقة وفي باقي مدارس الطائفة (مدارس مار يوحنا مارون والرومية ومار عبدا وريفون) اللغات العربية والسريانية والايطالية واللاتينية والعلوم الفلسفية واللاهوتية والطبيعية على مثال مدرسة الموارنة في رومية . وهو الذي حوّل ديري مار عبدا وريفون الى مدرستين اكليريكيتين .

وفي سنة ١٨٤٠ اسس جمعية مرسلين يتجولون في القرى واعظين مرشدين وانتدب لهذه الرسالة اشهر الكهنة بالعلم والخطابة والتقى وأسكنهم دير عينطورة .

وعندما اطلع على مساعي المرسلين الانجيليين ، وكانوا قد نزلوا بيروت ، دفعته رغبته في صيانة بنيه مما يبذره اولئك الغرباء من الزؤان في حقل الرب على اصدار منشور ابان فيه اغراضهم وكشف النقاب عما اتخذوا من وسائل ودسوا

---

١) ان ما اذكره عن المنشور المذكور اخذته عن المرحوم جدي لامي الخوري يوسف قرقماز الثاني الذي كان جده الخوري يوسف قرقماز الاول نائباً للبطريرك الحبيشي في جرود بلاد البترون .

من دسائس في نشراتهم وكتبهم التي كانوا يوزعونها مجّانا؛ وحتم حتماً جازماً بأن لا يقتني منها احد من ابناء طائفته وبأن لا يشاركهم احد في الروحيات، ومنع ارسال التلاميذ الى مدارسهم .

وفيما اجراه من اصلاح في بلدتنا تنورين مثالٌ لما كان يجريه في قرى ابرشيته الخاصة ويأمر باجرائه في سائر الابرشيات .

ومما سمعته من جدي لامي الخوري يوسف قرقماز ومن الخوري نعمة الله كرم خادم تنورين،وكان قد بلغ من العمر ٩٤ سنة،انهما كثيرًا ما سمعا من قدماء كهنة البلدة ان البطريرك يوسف حبيش في سنة ١٨٣٨ زار تنورين التابعة لبلاد البترون ، وكان المجمع المقدس قد أمر بأن يتخلى البطريرك عن ابرشية صور وصيدا ويتخذ بدلًا منها ابرشية جبيل والبترون والجبة . فحلَّ ضيفاً كريماً في بيت الخوري يوسف الانف الذكر وتولى بنفسه فحص كاهن الرعية هذا مع باقي الكهنة في اللاهوت. وكان الخوري يوسف مكلفاً سماع الدعاوى والحكم فيها في قرى بلاد البترون الجردية ومفوضاً في ايلاء التفاسيح الزواجية في تلك الناحية . وقد وجدنا في اوراقه ما يشير الى ذلك وفي مكتبته مؤلف المطران قرأ الي الحاوي قواعد الشرع الماروني ونسخته عن الفتاوي الخيرية والحامدية ومختصر اللاهوت الادبي المقتطف من كتابَي القديس ليكوري والعلامة انطوني والمجمع اللبناني .

تولى بنفسه محاسبة وكيل الوقف الذي لم يكن يقيد ما يدخل وما يخرج في دفتر لجهله القراءة والكتابة ، لكنه قدم كيساً مملوءا دراهم وقال: « هذا دفتري . في هذا الكيس اضع الداخل ومنه آخذ المصروف » . عُدّت النقود فبلغت ثلاثة آلاف غرش تبقت للوقف بعد ما صرف في شراء املاك وفي تقديم مرتبات للكهنة وفي اجراء تصليحات في الارزاق . ولم يكن من رقيب عليه ولا من محاسب سوى ضميره[1] .

---

١) كانت هذه الثلاثة آلاف قرش حجر في تلك الايام في سنة ١٨٣٨ ، توازي من عملة اليوم نحو ثلاثة الاف ليرة لبنانية ورقاً .

البطريرك يوسف التيان

البطريرك يوسف حبيش

(بريشة قيصر الجميل . بكركي)

صرف البطريرك في تنورين عشرة ايام لحل المشاكل العائلية والخلافات المحلية والمسائل الزواجية . عرض له المدعو يوسف صادق طربيه ان زوجته تستخدم في بيروت وترفض الرجوع اليه فقال له صاحب الغبطة : « اذا كانت زوجتك الِفت عيشة بيروت فلن ترجع اليك لتعيش في تنورين . هـذا محال ، أحسبها مائتة ... » فقال الرجل : « اذا كانت مائتة فاعمل عجيبة مثل سيدك الذي اقام لعازار من القبر . واعدها الى الحياة » . تبسم صاحب الغبطة وكتب الى قنصل فرنسا في بيروت فاهتم بالامر وارجع الزوجة الى بيت زوجها .

نقل من تنورين الى دير حوب فتفقد شؤون الرهبان ورتَّب مسألة مدرسة تنورين . كان جدود هذه البلدة قد وقفوا لدير حوب املاكاً واسعة لقاء تعليم احداثهم ، وكان الاهالي يشكون من بعض تقصير حدث من قبل الرهبان ، فوفق البطريرك بين مصلحة الدير ومصلحة اهالي تنورين ووضع للمدرسة قانوناً في غاية الدقة والحكمة . ومن دير حوب انتقل الى مقره الصيفي في الديمان .

كان البطاركة يقيمون دوماً في كرسي قنوبين ، اما الحبيشي فعُني بترميم دير بكركي وجعله مقرّاً للبطريرك في زمن الشتاء ، وبنى دير الديمان لقضاء فصل الصيف فيه ، وشاد فيه كنيسة على اسم القديس يوحنا مارون . وبقي دير قنوبين كرسيّاً بطريركيّاً في ايام الخريف .

وعني بادارة ارزاق الكرسي البطريركي عناية اكبر خبير في فن الزراعة ، واقدر اختصاصي في علم الاقتصاد ، وبرهاننا على ذلك ما توافر لديه من مبالغ لشراء املاك واسعة بلغ مدخولها في السنة مئتين وخمسين الف قرش ذهباً ، ولم يكن من قبلُ ليزيد على العشرة آلاف غرش في تلك الايام .

علاقاته مع الكرسي الرسولي : ومن المشهور عنه انه كان اذا تلقى امراً من المجمع المقدس نفذه في الحال مهما كان قاسياً ، ثم عمد الى الاحتجاج عليه بالادلة والبراهين ، فتعود رومية عن قرارها . قال الخوري بطرس الحكيم الانف الذكر ان البابا غريغوريوس السادس عشر عيّن في لبنان قاصداً رسولياً يدعى

لوزانا ، وسلّحه بكتاب توصية للامير بشير. وما طال الامر حتى اخذ الاساقفة يتذمرون من تعدّي القاصد على حقوقهم ، حتى انه توصل يوماً الى وقف احد المطارنة عن استعمال وظيفته،فاهتم البطريرك للامر، وحاول التفاهم معه واقناعه بالعدول عن خطة العنف ، فراح يدّعي عند الامير بان مساعيه الخيرية تصطدم دوماً بمقاومة الاكليروس الماروني وان توصية البابا امست بدون جدوى . فحدث من جراء ذلك سوء تفاهم صار يُخشى معه قطع علاقات الامير بالبطريرك .

كان المطران عبدالله البستاني يراقب الامور عن كثب فاكثر من التردداد على الامير قصد اقناعه بضرورة الاجتماع بالبطريرك لجلاء القضايا ، فقال له الامير : « ان الحبر الاعظم قد قلق لكثرة المشاكل التي تحدث في بلادنا ، لذلك ارسل الينا قاصدًا حازماً ، حكيماً ، قديرًا على تلافي البلابل ، وأوصانا بان نعاونه في مهمته هذه الصعبة الشاقة ، افما كان الاجدر بالبطريرك ان يتفق معه ويكونا يدًا واحدة في العمل ؟ » قال المطران عبدالله : « في المفاوضة مع البطريرك تنجلي الامور وانا ارتأي دعوة غبطته ليرئس حفلة تدشين الكنيسة[1] التي انشأتها في بيت الدين ، وعند ذلك ينفسح مجال للمحادثة والتفاهم ». صوّب الامير هذا الرأي، وارسل احد انجاله فدعا البطريرك الى الاحتفال المشار اليه ، فلبّى الدعوة فتوجه مع حاشيته الى بيت الدين يواكبه عدد من الامراء والمشايخ والاعيان . وجرى له في كل القرى استقبالات حافلة بالجماهير والزينات ، دلّت على مكانته ، والتفاف الاعيان حوله . وارسل الامير فرقة من ثلاثين فارساً لملاقاته ، وعندما اقترب الموكب من القصر عزفت الموسيقى بنشيد ترحيبي ، ثم خرج الامير لملاقاته ومشى قدامه حتى دخل قاعة العمود. فحلّ البطريرك ضيفاً كريماً في القصر مدة اسبوعين ، توالت فيها المحادثات ، فتم التفاهم وعادت المياه الى مجاريها .

وذكر ايضاً الخوري بطرس الحكيّم ان البطريرك انتدب قسيسين للاشراف على انتخاب الرئيس العام للرهبانية اللبنانية ملافاةً لامور كان يخشى وقوعها .

١) هي كنيسة القديس مارون الباقية حتى الآن .

وما تم الانتخاب حتى ابلغ القاصد المجمع المقدس ان الانتخاب لم يكن قانونياً لتدخل البطريرك في امره ، بواسطة المندوبين المشار اليهما ، فصدر امر الكرسي الرسولي بنفيهما . اما البطريرك ففي الحال امرهما بالطاعة ، وكتب الى رئيس المجمع يقول : « قد نفذنا اوامركم ، مع اننا لم نأتِ عملًا يخالف القوانين ، وما تدخلنا في قضية الانتخاب الا ملافاةً للخلاف والشقاق ، وفي مثل هذه المناسبات يخوّلنا المجمع اللبناني حق المشارفة على الانتخاب » . فاقتنع المجمع بالبرهان واصدر امره بالعفو عن المنفيَّين ، معلناً براءتهما .

واجتمع عند البطريرك الماروني كل رؤساء الطوائف الكاثوليكية الشرقيين، ووقعوا عريضة التمسوا فيها من الحبر الاعظم النظر في الخلاف الناشئ بين القاصد والرؤساء ، فكانت النتيجة ان أُقيل السيد لوزانا من منصبه ، فارتفعت منزلة البطريرك لدى الكرسي الرسولي، بعد ان خبر طاعته وحكمته وطول اناته وحسن ادارته ، وصار يقف عند رأيه قبل اتخاذ ايّ تدبير يتعلق بطائفته او بسائر الطوائف .

اعماله في الحقل الديبلوماسي : ذلك انه لما عُيِّن محمد علي والياً على مصر في سنة ١٨٠٥ وارتفعت منزلته وعظم شأنه ، خشيت الدولة العثمانية بأسه واخذت تكيد له المكايد لتتخلص منه . فعمد الى محاربتها واستعان بالامير بشير فلبّاه على امل الخلاص من نير الحكم العثماني ، فوقع لبنان في عهد المصريين تحت نيرٍ اشد قساوة واكثر ثقلًا .

وفي حزيران سنة ١٨٣١ جاء ابرهيم باشا ابن محمد علي وقائد جيوشه بعساكره الى فلسطين فاحتلّها ، ووافاه الامير بشير الى عكا فحاصراها الى ان سقطت . واحتلت الجيوش اللبنانية والمصرية جميع الشواطئ البحرية حتى طرابلس ، وتقدم الامير والباشا بالجيشين اللبناني والمصري الى حمص ودمشق، وانكسر الاتراك في بيلان بين حلب والاسكندرية وعاد اميرنا الى لبنان . وكانت بعض الدول تراقب الامور فخافت بعد تلك الانتصارات ان يُقضى على الدولة العثمانية ، ويحتل محمد علي عرش سلطانها على ضفاف البوسفور الى جانب

حصون الدردنيل، فتدخلت في الامر بناء على طلب السلطان محمود ، فأرغمته على قبول اتفاقية كوتاهيت التي عقدت في السنة الـ ١٨٣٣ ، وضَمَنت لمحمد علي ملك سورية وكيليكية مدة حياته ؛ اما الامير بشير فلم يُعطَ اقل ضمانة.

عندما نجحت مهمة ابرهيم باشا بمساعدة امير لبنان والاه اللبنانيون في بادئ الامر، وقد كان استمالهم باعطائهم الاسلحة، ومساواتهم جميعاً بالحقوق والواجبات، واحيائه المشاريع العمرانية ، وانشاء مجالس للشورى ، وتسهيل طرق التجار والمرسلين . ثم انقلبوا عليه لالقائه بذور التفرقة بين ابناء المذاهب المختلفة ، وحجزه الصابون ، وجمعه الاسلحة من الدروز والنصارى ، واستخدامهم في الجيش وارسالهم الى لبنان ، وتسخيرهم في بناء الحصون وشق الطرق العسكرية ، وحفر معادن الفحم ، واثارته الدروز ودفعهم الى المحاربة في وادي التيم وحوران الخ. وكانت الدولة العثمانية تبعث برسلها اليهم مع رسل الانكليز ليزيدوهم نفوراً منه، فتنبهوا وطلبوا بالحاح ان تلغى الخدمة العسكرية العامة ، وتقتصر خدمة الجنود على العمل ضمن حدود لبنان ، وان يؤلف مجلس تمثيلي .

وفي سنة ١٨٣٩ انتصر ابرهيم باشا مرة اخرى على الاتراك في نصيبين ، فاتفقت حكومات انكلترا وتركيا والنمسا وبروسيا على تنحيته، وبعثت قواتها الى الشواطئ اللبنانيـة في ١١ ايلول من سنة ١٨٤٠ ، فاطلقت القنابل على بيروت ، وصور ، وصيدا ، وجبيل ، وطرابلس .

ثم نزل القائد العثماني سليم باشا ، مع رجال فرقتين انكليزية فتركية ، لتوزيع السلاح على خصوم ابرهيم باشا ، فانضم اليهم اللبنانيون بزعامة الشيخ فرنسيس الخازن واحمد داغر المتوالي وابي سمراء غانم ويوسف الشنتيري، وبعض الامراء الشهابيين واللمعيين والمشايخ الجنبلاطيين والنكديين ؛ وحاربوا الجيش المصري ، ومشوا لمطاردة ابرهيم باشا فواقعوه في بحرصاف بعد احراقه بلدة بيت شباب ، لكنه نجا بنفسه وذهب الى صليما فقرنايل فدمشق . ونفي الامير بشير الى مالطة في ١٠ تشرين الاول من سنة ١٨٤٠ ، لانه رفض ان ينفك عن ابرهيم باشا .

رأينا ان اللبنانيين ثاروا على ابرهيم باشا ، وعمت الثورة لبنان كله،وكانت انكلترا خائفة من ان يقيم محمد علي امبراطوريته على انقاض الامبراطورية العثمانية ، فارسلت ريشار وود لكي يشد ازر الموارنة ، ويعاهد البطريرك من قبل الدولة العثمانية على انها تترك للبنان استقلاله. ووصلت الى بيروت اساطيل الدول السبع ، وامدّت الثوار بالمال والسلاح ، فأوقعوا بالجيش المصري واخرجوه من سورية ولبنان . وللبطريرك الحبيشي فضل في توحيد قوى اللبنانيين باقتراحه اجتماعاً صار عقده في انطلياس ، بحضور عدد من الاكليروس والمشايخ والاعيان من دروز ونصارى ، يتقدمهم الامير حيدر اللمعي ، صديق البطريرك وذراعه اليمنى في الدفاع عن لبنان .

في هذا الاجتماع ، « اجتماع انطلياس » ، تعاهد الدروز والنصارى على طرد المصريين ، ووزعوا نشرات اعلنوا فيها اسباب ثورتهم وهي استعادة الحرية ، ورفع نير العبودية عن اعناقهم؛ ثم وثبوا على المصريين ففتكوا بهم .

استولى محمد علي على سورية في سنة ١٨٣٨،وطُرد منها في سنة ١٨٤٠ . قال السيد بازيلي ، قنصل روسيا في بيروت : « يعود الفضل في اخضاع سورية للمصريين سنة ١٨٣٨ الى بسالة اللبنانيين كما ان طردهم منها في سنة ١٨٤٠ يعود الى ثورة هؤلاء عليهم » .

اما الامير بشير فبات امام تلك الحوادث في مركز دقيق حرج لتعاقده مع محمد علي من جهة ، ولاعتقاده من جهة ثانية بأن فرنسا لن تتخلى عنها ولن تسمح بضياع استقلال لبنان ، بعد ان جرى ما جرى بمعرفتها وموافقتها ، فراح ضحية الوفاء والاعتماد على حلفائه. ومن المعلوم ان السر عسكر سليم باشا كتب الى هذا الامير يخاطبه بأمر التسليم،وارسل له فرماناً مع مندوب وكلفه ان يقول له : « ان سلمت للدولة قبل مرور ثمانية ايام من تاريخه تبقى والياً كما كنت ، وتكون الولاية لك ولذريتك من بعدك »[1]. ولكن نخوته لم تسمح له بالتخلي عن حليفه في ساعة الشدة،ولا سيما وفرنسا تؤيده وعهد فرنسا

١) الشدياق ، ص ٦٠٦

مقدس عنده . ففضل الامير حفظ العهود حتى التضحية بمنصبه .

اما فرنسا فقد اضطرت الى التخلي عن محمد علي . وبعد مفاوضات ومراسلات عديدة تم الاتفاق بين الدول على حفظ مركز محمد علي في مصر ، ولم تدر الدوائر الا على لبنان واميره ، فوق تلك التضحيات التي تحملها اللبنانيون في مساعدة المصريين على فتح سورية ، او في مساعدة الدولة على طرد المصريين.

سُرّ السلطان العثماني من مواقف الموارنة ، فأهدى الى بطريركهم النيشان العثماني المرصّع ، فقبله بتحفظ ، لخوفه من ان يعتبر قبوله اياه اعترافاً بالتبعة العثمانية ، لذلك لم يزين صدره به طوال حياته بل حفظه في صندوق. وطلب تعيين الياس حوا الحلبي وكيلاً عنه في الاستانة ، ليتعاطى شؤون لبنان رأساً مع الباب العالي ، لا مع الوزارة الخارجية مرجع المواصلات ، فاستجيب طلبه . ثم طلب تخفيض الضرائب عن لبنان ، فأُسقطت الى ربع ما كان يدفع في ايام المصريين.

عيّنت الدولة الامير بشير قاسم ملحم عساف الشهابي[1] حاكماً على لبنان بعد ان تيسر لها نفي الامير بشير قاسم عمر الى مالطة ، لان الشعب لم يؤيده. غير ان الحاكم الجديد استقل برأيه ، ولم يُعر نصائح البطريرك انتباهاً ، فاختلف مع الدروز فحاصروه في دير القمر ، واعملوا السيف في رقاب نصارى الشوف. فكتب البطريرك الى امراء الموارنة ومشايخهم فجمعوا رجالهم ، وجهزهم صاحب الغبطة بالمال والذخائر من اسعافات النمسا ، لكنهم تأخروا عن انجاد دير القمر ونصارى الشوف ، لخلاف نشأ بين فئة منهم تريد الامير بشير قاسم عمر الحاكم السابق ، وفئة تريد الامير بشير قاسم ملحم عساف الحاكم الحالي ، فوقعت دير القمر في ايدي المحاصرين وأُخرج الامير بشير ابو طحين منها مذلولاً . وامعن الدروز في القتل والنهب وتغلبوا على جزين وباقي القرى المارونية بمساعدة المتسلم التركي ، ولم يبقَ امامهم الا زحلة ، فهاجمها بقيادة شبلي العريان ستة آلاف مقاتل سلّحهم والي الشام ، فلو سقطت زحلة لاجتيح لبنان كله . لكنها لم تسقط ، بل نجت

---

١) « أبو طحين »

بفضل حكمة البطريرك ومساعدته المالية وغير المالية، وبدربة وبسالة القائدين ابي سمراء غانم ويوسف الشنتيري .

احتج صاحب الغبطة على مساهمة عمال الدولة في افناء النصارى ، وطالب بتعويضات للمنكوبين ، وردّ اسلابهم ، وانزال العقوبات بالمعتدين .

رأى الباب العالي الفرصة مناسبة لضم لبنان الى ولايات الدولة ، فاوفد الى بيروت مصطفى باشا نوري ، ومعه عمر باشا النمساوي ، وهذا كان مسيحياً فاسلم ، وتسلّم فرقة من الجيش العثماني لمحاربة المصريين . وكان السلطان العثماني ينظر الى لبنان نظرة مريبة ، فصار يتحين الفرص للاطاحة بهذا الاستقلال الذي يحدُّ من نفوذه في هذه البقعة من آسيا . وكان يزيد في قلقه مـا يشاهده من عوامل التفسخ تنخر سلطته في مصر ، والبلقان، فراح في اواسط القرن التاسع عشر يدبّر خطة تمكنه من اغراضه. ورأى الاتراك بكثير من الامتعاض نخبةً من ابناء البيوتات الكبيرة والامراء يعتنقون الكثلكة ، وساءهم عطف امراء لبنان وحدبهم على المسيحيين ، واتضح لهم ذلك اوفر اتضاح في عهد الامير بشير الكبير (من ١٧٩٥ الى ١٨٤٠) . وانجلت السياسة الدولية عن أثر سيِّئ اي الحرب بين تركيا ومصر ،والنزاع بين فرنسا وانكلترا ، فدسّ العمال العثمانيون الدسائس ، يشدُّ ازرهم المكلفون البريطانيون، مثل الكولونيل تشرشل والكولونيل روز وغيرهما حتى نجحت السعاية ، واتسعت الشقة بين الدروز والموارنة بعد تحالفٍ متين وصداقةٍ دامت مع الزمن؛واستحكم الخلاف فجرتِ الدماء .

جمع مصطفى باشا اعيان البلاد وطلب منهم ان يوقّعوا عريضة يلتمسون فيها من الباب العالي تعيين حاكم عثماني على لبنان . وما درى البطريرك بذلك حتى اوعز الى امراء الطائفة ومشايخها بالامتناع عن توقيع العريضة فامتنعوا . على ان المشير لم يبالِ بممانعتهم ، واقام في سنة ١٨٤٢ عمر باشا المذكور حاكماً على لبنان ، واخذ هذا الحاكم يحاول استرضاء البطريرك ، فعين ابا سمراء قائداً للجيش والشنتيري مساعداً له ، والشيخ فرنسيس الخازن حاكماً على كسروان ،

وضيّق على زعماء الدروز فحنقوا عليه ، وحاولوا الاتفاق مع الموارنة فلم يرضَ البطريرك بذلك .

وحدث ان المشايخ الدحادحة فتكوا بثلاثة من المشايخ الحبيشيين، فارسل عمر باشا في طلبهم فرقةً من الارناؤوط عبثت بالقرى والاديار . وعندما عرف انهم لجأوا الى شمالي لبنان كلف والي طرابلس القبض عليهم، فارسل فرقتين ، واحدة الى سبعل فاحرقت كنيستها ، واخرى الى اهدن فصدّها الاهدنيون بقيادة بطرس كرم ، وقتل منها اربعون جندياً ، لذلك قرر الباشا اقتحام جبّة بشري ، فأثبت له البطريرك ان الذنب كله على العسكر ، وهدّده بثورة عامة ان هو تعدّى على هذه المقاطعة . عندئذٍ توجه لزيارة البطريرك واكثر له من الوعود ليقبل به حاكماً على لبنان، فأجابه: « انت من الاشخاص الاكفاء لتولي الحكم ، انما عيبك الوحيد هو انك اجنبي ونحن لا نقبل اجنبياً ! »

فعندما يئس مصطفى باشا من حمل البطريرك على قبول حاكم عثماني ، عمد الى تزوير اختام بعض الاعيان ، واغتصب تواقيع قسم من الاهالي في الجنوب ، ونظم عريضة بطلب عمر باشا حاكماً على لبنان . غير ان البطريرك اوفد الى الاستانة الخوري نقولا مراد ليحرّض سفراء الدول على وقف ما يقوم به مصطفى باشا من محاولات لخرق النظام اللبناني، حانثاً بالعهود التي قطعها للبطريرك بابقاء الحكم الذاتي في يد امير لبناني ، وعلى المطالبة باعادة الامير بشير عمر الى حكم لبنان لانه وحده قادرٌ على ضبط اموره . وكان البطريرك قد اشار على هذا الامير بالانتقال الى الاستانة ، والسعي لاسترضاء اولياء الامور، فعمل بالنصيحة وسافر مع اسرته الى العاصمة .

نجح الموفد البطريركي في حمل سفراء الدول على تأييد هذه المطاليب . عند ذلك ابرز الصدر الاعظم عريضة يطلب فيها اللبنانيون حاكماً عثمانياً ، فأبانوا انها مزورة. واعترض على اعادة الامير بشير قاسم عمر الى الحكم بحجه انه خان الدولة وحارب الى جانب المصريين ، وبان الدروز لا يقبلون حاكماً نصرانياً.

عندئذٍ رأى السفير البريطاني الفرصة ملائمة لعرض اقتراحه ، بشطر لبنان

الى قائمقاميتين ، يتولى امير درزي شطره الجنوبي الآهل باكثرية درزية ، ويحكم شطره الآخر امير ماروني. وكانت النمسا قد تحققت ان الموارنة لا يقبلون عن فرنسا بديلاً ، فأيد سفيرها هذا الاقتراح ، وجرّ وراءه باقي السفراء ، ما عدا سفير فرنسا الذي قبله بصورةٍ موقتة وعلى سبيل التجربة[1] .

ورأى الباب العالي ان الحل المذكور من شأنه ان يزيد الخلاف ويفسح المجال للقضاء نهائياً على استقلال لبنان فسُر به ، وعزل مصطفى باشا وعمر باشا وارسل يسأل البطريرك الماروني عمن يريده حاكماً على لبنان ، فلم يجد البطريرك مناصاً من القبول بهذا الحلّ ، واختار الامير حيدر اللمعي لهذا المنصب ، لان هذا الامير الهمام كان يده اليمنى في الايام العصيبة ، وهو من اشهر اللمعيين المتحدرين من الامير قايدبيه ، وكان قد تولى اقطاع جدوده في المتن والقاطع ، فظل من سنة ١٨٤١ الى يوم وفاته في ١١ ايار من سنة ١٨٥٤ يدير شؤون القائمقامية المسيحية ، مع رجال اكفاء من امثال عيد حاتم ومخايل نصار والخوري يوحنا الحاج والخوري يوحنا الحبيب والخوري بطرس غالب المكرزل ، وقد تولّى هؤلاء الكهنة القضاء في عهده. وكان يحكم مع مجلسٍ مؤلف من اثني عشر عضواً ، وكانت بكفيا عاصمة حكمه . وكان على جانب عظيم من التقوى والعدالة وكرم الاخلاق، فكان في الرعية اباً حنوناً ، وفي الخارج مدافعاً عنيداً عن حقوق بلاده وحدودها ، سواء أكان في جهة بعلبك أم في البقاع .

ثم ادرك الباب العالي ان الحاق ثلثي لبنان بالامارة المارونية يزيد في مكانتها، فسلخ عنها مقاطعات جبيل والبترون والكورة والجبة،وضمها الى ولاية طرابلس، وعيّن لها حاكماً عثمانياً من غير طائفة سكانها. وفرض عليها جزيةً اضافية علاوة على الضريبة العامة . فارسل البطريرك الخوري نقولا مراد الى باريس ليقدم

---

١) كانت النمسا ترغب في ان تحل محل فرنسا في حماية الكاثوليك الشرقيين ، لانها رأتها تتراجع امام السياسة البريطانية وتتساهل في امر الدفاع عن حقوقهم . لذلك عندما طلب البطريرك الحبيشي بواسطة الحبر الاعظم اسعافاتٍ من اوربا للذين نكبوا في محاربة الجيش المصري ، تبرع امبراطور النمسا بمبلغ كبير من المال استأمن به البطريرك للنفقة على رجال ابي سمراء غانم والشنتيري في رد غارات الدروز عن زحلة .

لحكومتها تقريرًا يبين الاجحاف اللاحق بالطائفة المارونية من هذا التدبير، لان لبنان الشمالي هو مهد المارونية وقلبها ومركز بطريركها. تلقت الوزارة الفرنسية تقرير الموفد البطريركي بمزيد الاهتمام، واوعزت الى سفيرها في الاستانة فاحتج على ذلك الاقتطاع الجائر، واقنع الباب العالي بارجاع المقاطعات المسلوخة.

ولم يبقَ سوى مشكل القرى المارونيـة التي وقعت في حكم القائمقام الدرزي، فاطلع البطريرك سفراء الدول على ما في وضع الموارنة تحت رحمة خصومهم من خطر، فالحوا على الباب العالي حتى رضي بتعيين وكيل ماروني في كل قرية من هذه القرى، يرجع اليه بنو ملته في جميع مشاكلهم، وهو يتعاطى حلها مع القائمقام.

تلك لمحة موجزة عما ابداه البطريرك الحبيشي من حكمة وغيرة في الادارة الروحية، وما اظهره من سداد رأي ورباطـة جأش، في احداث سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤١. أما احداث سنة ١٨٤٥ فقد توفاه الله قبل ان يتوفق الى اخماد نارها، وكانت وفاته في ١٣ ايار من هذه السنة المشؤومة[1].

المحاكم في عهد البطريرك الحبيشي: كان الموارنة منذ عهد بعيد يرجعون في احكامهم الى كتاب الهدى، وهو اقدم مجموعة شرائع مسيحية واسلامية وعرفية، نقلها المطران داود الماروني من اللغة السريانية الى العربيـة في سنة ١٠٥٨، ولم تكن تحوي كل مسائل النظام المدني، فكان الاعتماد في ذلك على القانون الروماني العرفي.

في عهد المماليك اعتمد الموارنة سدًّا لهذا النقص المجموعة المعروفة بكتاب الشريعة وهي لابن غسان القبطي، الذي ظهر في القرن الثالث عشر.

وفي سنة ١٦٥٠ ظهرت مجموعة المطران مخايل الحصروني.

تلك الكتب المشار اليها كانت كلها تستند الى التوراة والانجيل وقوانين

---

١) طالع سجل بكركي ٣، ص ٤٧٧ وما يليها، «وتاريخ الاعيان»، واوراق آل حبيش لطنوس الشدياق، ص ٦٠٥ وما يليها.

الرسل، وعلى مراسيم الملوك قسطنطين وتيودور ولاون، وعلى الشرع الروماني. وكان الموارنة يطبقون الشرع الاسلامي حيثما لا يجدون ما يناقض رسوم ديانتهم وعاداتهم، وكان الشرعان الماروني والاسلامي متوافقين في مسائل عديدة مدنية وخاصة في العقود وفي تقسيم المواريث.

وفي سنة ١٧٣٦ اوجب المجمع اللبناني تكليف علماء القانون تنظيم مجلة تجمع كل القوانين المختصة بالشرع المدني ليرجع اليها الاساقفة في احكامهم، فصار الاتفاق على ان يكون الاعتماد على كتاب المطران قرآألي المعروف « بكتاب الفتوى » وعلى كتاب مختصر الشرع والقوانين المتضمنين الشرح الكافي للشرع المدني الماروني. فاصبح هذان الكتابان مرجعاً للموارنة وسائر المسيحيين في لبنان مدة قرنٍ ونصف قرن، في عهد الامراء الشهابيين حتى اواسط القرن التاسع عشر.

في عهد الامير بشير الكبير أُدخل الشرع الاسلامي فقلقت الضمائر. عندئذٍ عرض البطريرك يوسف التيان هذه القضية على المجمع المقدس، فكان الجواب: « ان المسيحيين ملتزمون بالخضوع للشريعة الوطنية في كل ما لا يناقض قواعد الدين والآداب ». ومع ذلك وبالرغم من اوامر الامير بشير المذكور، ظل الموارنة يطبقون شرعهم الخاص حتى نهاية الحكم الشهابي في سنة ١٨٤١.

ومعلوم ان البطريرك الحبيشي قد وفّر للشيخ بشارة الخوري وللخوري يوحنا الحبيب اساتذةً من المشايخ المسلمين علموهما الشرع الاسلامي المعمول به في ذلك العهد. وكابد البطريرك في هذا السبيل متاعب كثيرة ونفقات باهظة، حتى توصل الى ايجاد علماء من المسلمين يرضون بان يفقّهوا النصارى في علم الشريعة والقوانين[1].

درس الشيخ بشارة والخوري يوحنا المشار اليهما الفقه الاسلامي على الشيخ

١) من يريد الاطلاع على هذه القضية وملابساتها فعليه ان يراجع سجلات بكركي وكتاب « الشيخ بشاره الخوري الفقيه » للاستاذ لحد خاطر فان فيه وثائق ضافية تشتمل على ايضاحات واسعة لكل هذه الشؤون.

ابراهيم الزيلعي من طرابلس ولقناه لابناء الطائفة وغيرهم. والشيخ بشارة درَّس هذا العلم في بتدين وبعبدا لكثيرين من رجال الدين وابناء البيوتات اللبنانية ؛ وقد عين قاضياً للنصارى في عهد القائمقاميتين في الشويفات ثم للجميع في بتدين وبعبدا من عهد الامير بشير حتى اوائل حكم واصا باشا .

قبل حكم الامير بشير الكبير كان الحاكم الاكبر يحتفظ لنفسه بالاحكام في قضايا الجرائم . اما في المسائل العادية والاحوال الشخصية فكان يعترف بحق الحكم لرؤساء الطوائف . وكان البطاركة والمطارنة والكهنة يقاسمون الاقطاعيين السلطة والنفوذ. غير ان الامير بشير قد تمكن تباعاً من نزع سلطة الاكليريكيين الزمنية ، واستمال المشايخ المسلمين والدروز لتطبيق الشرائع الاسلامية في الامور المدنية ، وعين عدة قضاة متقيدين بقانون واحد منهم شيخ في محكمة دير القمر وكهنة وشمامسة في غزير واهدن وغيرهما ، ثم اخذ يضيّق صلاحية الامراء والمشايخ الاقطاعيين ويضعف نفوذهم شيئاً فشيئاً ويأخذ منهم صكوك العهدة ويبطل مفعولها[1] .

النهضة الادبية : ظلت النهضة الادبية في الدور الشهابي على الخطة التي تأسست عليها في العهد المعني .

باهتمام رجال الاكليرس أنشئت عندئذٍ مطبعة قزحيا كما ذكرنا سابقاً. ثم في سنة

---

١) صك العهدة عبارة عن سند رسمي كان يعطى الاقطاعيون بواسطته امتيازات لقاء تعهدهم بصدق الخدمة . فاسترجع الامير منهم تلك الصكوك وجردهم من السلطة القضائية ممهداً بذلك السبيل لالغاء الحكم الاقطاعي ، فخلّص اللبنانيين من احكام عديدة كانوا رازحين تحت كابوسها ، لكنه قضى في الوقت نفسه على نفوذ ابناء اسرته ، وسهّل الطرق لانتقال الحكم منهم الى غيرهم .

وكان المعنيون وخلفاؤهم قد قسموا مناطق البلاد اقساماً ادارية متعددة ، وعينوا لها موظفين اقطاعيين من الذين خدموا الامراء الرئيسيين باخلاص ، وكان حكمهم مطلقاً ينتقل بالارث . واعطوا صلاحيات كثيرة فكانوا يسمعون الدعاوى الحقوقية والجزائية ويسجنون ويضربون ويجبون الضرائب فيحفظون ما هو لهم ويدفعون ما عليهم للحاكم الاعلى الذي كان يحكم في القضايا الهامة .

١٧٣٤ مطبعة مار يوحنا الصابغ في الخنشارة ثم مطبعة مار جرجس في بيروت.

وكان البطريرك يوسف اسطفان قد أنشأ مدرسة عين ورقة في سنة ١٧٨٩ .

وحوّل البطريرك يوحنا الحلو ديري مار يوحنا مارون كفرحي، ومار مارون الرومية الى مدرستين للطلبة الاكليريكيين .

وحوّل البطريرك يوسف حبيش ديري مار عبدا هرهريا، ومار يوسف ريفون الى معهدين علميين للاكليريكيين وغيرهم ، وامر بان يدرّس في كل المدارس اللغات العربية والسريانية واللاتينية والايطالية والفصاحة والمنطق والفلسفة واللاهوت ، على مثال مدرسة رومية المارونية .

وفي الثلث الاول من القرن التاسع عشر اعترى الحركة الادبية بعض الخمول ، بسبب حروب الجزار وبونابرت والامير بشير، ثم بدأت الاحوال تتحسن بعد مجيء المرسلين الاجانب وانشائهم المدارس الكبرى .

يوسف الخازن : صار انتخابه في ١٨ آب سنة ١٨٤٥ وأثبت في ١٩ ك ٢ سنة ١٨٤٦ .

بعد نفي الامير بشير الكبير : رأت فرنسا انها لم تؤيد الامارة اللبنانية في محنة الامير بشير الكبير، مع انه لم ينكب الا لمساعدته محمد علي على تنفيذ سياستها ، فاخذت تسعى لاعادة هذه الامارة الى ما كانت عليه من وحدة واستقلال . لكنها أخفقت في مسعاها ، وشُطر لبنان الى قائمقاميتين في سنة ١٨٤٢ .وفي سنة ١٨٤٥ حدثت تلك الفتنة الهائلة بين الدروز والموارنة فأُرسل شكيب افندي وزير خارجية الدولة العثمانية الى لبنان بسلطة مطلقة ، وقوة كافية لاستئصال اسباب الخلاف ، وتنفيذ التدابير المتخذة بشأن الادارة المحلية، فكتب الى نامق باشا، مشير الفيلق الهمايوني في البلاد العربية ، ليأتي بعدد كاف من الجنود ويحتل المواقع العسكرية في لبنان .

وفي ١٢ تشرين الاول من سنة ١٨٤٥ كتب الصدر الاعظم الى شكيب

افندي في مسألة نزع السلاح ، فراح ينزعه ؛ وأدخل العسكر العثماني الى الجبل رغم انف اللبنانيين ، خارقاً امتيازات لبنان . واخذ العسكر النظامي يطوف القرى ، ويقدم على السلب والنهب بحجة نزع السلاح ، وكان قد تم الاتفاق مع البطريرك يوسف الخازن على تقديم الفي بارودة ؛ فلم يقبل بذلك اهل شمالي لبنان ، وهبّوا غير مبالين بنصائح البطريرك لمنع دخول العسكر « العثماني » الى بلادهم . وعندما جاء الشيخ يعقوب البيطار ليقنعهم بالعدول عن عصيان سيجر عليهم الخراب والدمار ، حجز عليه البشراويون وهاجوا وماجوا قائلين : « لا نسلم سلاحاً وسنطرد العثماني من بلادنا ». وكان الشيخ حصن الخازن وابو سمرا غانم مرابطين مع رجالهما في محلة الدوير في ارض تنورين مع نجدة من اهل هذه البلدة ومن العاقورة ، ثم وافاهم الشيخ بطرس كرم من اهدن بالف مقاتل ، ووصل عدد من رجال بشري وباقي قرى الجبّة . وما وصل العسكر النظامي الى الدوير حتى نشب القتال وحمي وطيسه وكاد العسكر يفتك بالثوار لو لم يتدخل البطريرك ويقنع السر عسكر بالكف عن القتال متعهداً لقائد الفيلق الهمايوني بتدبير الامر وحلِّ المشكل[1] .

ثم الحقت الحكومة العثمانية امين باشا بشكيب افندي مزوداً بالاوامر اللازمة لاجابة رغائب البطريرك الماروني بما خص تحصيل حقوق ابنائه المهضومة. فأعلنَ الباشا دفع اول قسط من التعويض المتوجب للمتضررين في اثناء الفتنة ، واستعداد الدوائر لدفع القسط الثاني ، والتشديد في جمع السلاح من كل اللبنانيين على السواء ، والغاء القرار القاضي بعزل القائمقامين، واخضاع كل قرار يتعلق بهما لموافقة السلطان ، ونادى بالمساواة بين الجميع امام القانون .

وابلغ شكيب افندي السيد البطريرك عزمه على تحقيق كل الترضيات التي وعد بها الباب العالي بلسان امين باشا ، وعندئذٍ تمكن من تنفيذ النظام الذي عرف « بنظام شكيب افندي » ، ذلك النظام الذي ساد في لبنان الى سنة ١٨٦١ ، وابقى لبنان مقسوماً الى قائمقاميتين على الرغم من كل ما بُذل من

---

١) عن اوراق بيت الشيخ حصن الخازن .

مساعٍ لاعادة الامارة الى الشهابيين. وانشأ مجلساً ادارياً في كل من القائمقاميتين يمثل كل الطوائف ، ونظّم القضاء والادارة والضرائب ، واوجد هيئات ادارية اشرك فيها جميع السكان على اختلاف طبقاتهم ومللهم ، وبقي القائمقامان موظفين يختارهما والي صيدا . وكان كل قائمقام يرئس مجلس الادارة المؤلف في قائمقاميته ويراقب اعمال اعضائه ولم يكن له ان يخالف رأي المجلس بل كان عليه ان يرضخ للاكثرية ، لكنه كان مسؤولاً عن تنفيذ القرارات .

لم يقتصر هذا النظام على اضعاف نفوذ الاقطاعيين في الحقلين القضائي والاداري ، بل تعدّى الى الحقل المالي ، فأوجب ان تكون الضرائب عامةً متناسبة مع الملكية . ومن ثم اتضح ان الميزة الرئيسية لهذا النظام انما كانت اضعاف النظام الاقطاعي الى حدٍ بعيد ، اذ اعلن المساواة امام القانون في دفع الضرائب وفتح باب التوظيف الاداري وعضوية المجلس امام جميع اللبنانيين .

ومما لا شك فيه ان هذا النظام اضعف الاستقلال الاداري ، لكن الدول الاوربية كانت ترغب في انهاء المشكلة مهما كلف الامر ، فوافقت عليه ، وكان ذلك بمثابة سابقة خطيرة وهي ان تتمكن احدى ولايات الامبراطورية العثمانية من الظفر بنظام خاص بفضل التدخل الاوربي. وكان اللبنانيون في حاجة ماسّة الى الراحة والاستقرار والانصراف الى الاعمال البنائية بعد ان انهكتهم القلاقل وافسدت عليهم حياتهم. فقبلوا بالنظام الجديد ووُضع هذا النظام موضع التنفيذ حتى سنة ١٨٦١ .

وفي الدرج الرابع من مكتبة بكركي كتابة من قنصل فرنسا آنذاك ، صادرة في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٠ ، الى المطران بولس مسعد مع تقرير من السيد هوريون عن سلوك امين باشا ، الموفد العثماني ، وتلاعبه بالانظمة ، ليعرض ذلك على البطريرك الخازني .

وفي ٣٠ ايلول من السنة نفسها كتب القنصل المذكور الى هذا البطريرك يبيّن له كم بذل من جهدٍ لاقناع امين باشا بتلبية رغائب غبطته وتنفيذ كل الامور التي كان قد وعد بها .

ولهذا البطريرك مراسيم اوجب وضعها موضع التنفيذ ، منها مرسومه الذي شدَّد فيه بعدم سماع الاعترافات خارج منبر التوبة، ومنها منعه النساء من الدخول الى بيت الله كاشفات الرأس وبلباس غير لائق . ولما كان المشايخ من عادتهم ان يستدعوا الكاهن الى بيوتهم لسماع اعترافاتهم تهدَّد البطريرك بالحرم كل كاهن يسمع اعترافاً في بيت أي كان من مشايخ او غيرهم الا في حادث المرض.

وكثيراً ما كان هذا البطريرك ينذر بعض اقاربه بسوء العاقبة من جراء ما كان يأتيه بعضهم من امور لا تليق بمقامهم .

وتوفي رحمه الله في ت ٢ من سنة ١٨٥٤ ودفن في قنوبين .

بولس مسعد : انتخب في ١٢ تشرين الثاني من سنة ١٨٥٤ . واثبته البابا بيوس التاسع في ٢٣ اذار من سنة ١٨٥٥ .

كان حكيماً ، مشهوداً له بالتقوى ، بارعاً في العلوم الدينية والتاريخية . له بعض تآليف منها « الدر المنظوم » الحاوي عدا القضايا التاريخية قواعد دفاعية عن دوام اتحاد الطائفة المارونية بالكنيسة الرومانية .

كفاه فخراً ان البطريرك الياس الحويك الذي عايشه اكثر من عشرين سنة قال عنه : « انه مثال الحبر الحكيم ، الحريص على القوانين البيعية ». وكثيراً ما كان ينسج على منواله في ادارة شؤون البطريركية الروحية والزمنية ، وكان يرد طلب من يلتمسون تساهلاً في التفسيح بقوله : « البطريرك بولس لم يكن يتساهل في امر كهذا ». وعندما ارتأى احد المهندسين احداث تغيير في تصميم رسمه لتشييد قصر الديمان قال له : « لا اغيّر شيئاً في هذا الرسم لان البطريرك بولس كان قد اختطه قبلي لهذا البناء » .

عقد بامر البابا بيوس التاسع مجمعاً في بكركي في ١١ و١٢ و١٣ نيسان من سنة ١٨٥٦، وافتتحه بخطاب ذكر فيه كل مجامع الطائفة من عهد البطريرك سركيس الرزي الى مجمع اللويزة الذي عُقد في ١٥ نيسان سنة ١٨١٨ . وجملتها اثنا عشر مجمعاً .

البطريرك يوسف راجي الخازن

البطريرك بولس مسعد

يقسم مجمع بكركي الى ست جلسات مطولة يلحق بها ذيل يتضمن بعض رسائل من البابوات ، وهو اطول واحسن مجامع الطائفة بعد المجمع اللبناني ، وقد افرغ فيه هذا البطويرك كنوز معارفه اللاهوتية والتاريخية وطبقه على قواعد المجمع اللبناني .

جرت في عهده احداث ومشاكل وقلاقل عالجها بحكمة وصبر، اهمّها ثورة الفلاحين على المشايخ الخوازنة ، والحرب الاهلية في سنة ١٨٦٠ وثورة كرم .

ثورة الفلاحين :هبت هذه العاصفة في عهد الامير بشير احمد اللمعي قائمقام النصارى . في سنة ١٨٥٨ انفسح المجال للقلاقل والفتن اذ فيها غزا الحماديون قرطبا ، واقتتل المترعمون في زحلة وفي المتن وفي العاقورة ، ونشأ خلاف بين الاهدنيين والبشراويين ، وبين الحبيشيين والاهالي في غزير ، وكان الشيخ ابرهيم الخازن زعيم خصوم القائمقام ، فلما رأى هذا الامير ان مناوئيه قد كثر عددهم وان اشدَّهم عداء له هو شيخ خازني ينقاد له اكثر الاقطاعيين قرر مع اصدقائه من رجال الدولة العثمانية اضرام نار الثورة ليقضي على الحكم الاقطاعي في كسروان اولًا ثم في سائر المقاطعات .

كان اكبر معاوني القائمقام على اثارة هذه الفتنة الهوجاء رجل من طائفة الروم الكاثوليك من زوق مكايل يدعى الياس المنيِّر ، نشر فكرة الثورة في قرى كسروان الجنوبية ، واقام في كل قرية وكيلًا لبث الدعاية ، ووكيلًا عاماً اسمه صالح صفير العجلتوني ، وكان القائمام يرسل الاوامر من بيروت الى الزوقي وهذا في دوره يوصلها الى العجلتوني الوكيل العام ، واخذ المشايخ يستعدون للمقاومة .

اما العجلتوني فلما ادرك غوائل الثورة استقال من الوكالة العامة فعُيِّن مكانه طانيوس شاهين الريفوني ،فهجم الشعب بقيادته على دور المشايخ باطلاق الرصاص، فهرب المشايخ بنسائهم واولادهم الى جهات جبيل والبترون وقاطع بيت شباب.

ونهب الفلاحون بيوتهم ووضعوا ايديهم على المواسم ، وقتلوا عدداً من الرجال والنساء والاولاد .

اضطرب البطريرك بولس كل الاضطراب فاستدعى وكلاء القرى وكبار المشايخ و اشار بعقد اجتماع لانتخاب احد المشايخ حاكماً للمقاطعة الكسروانية ، وقبل الوكلاء بهذا الحل . امـا المشايخ فلم يرضوا بان يشترك معهم الفلاحون بهذا الانتخاب ، وكانوا يأملون بأن خورشيد باشا سينجز وعده بارجاع الاهالي الى طاعتهم . عندئذٍ ازداد طانيوس شاهين اندفاعـاً في شن الغارات . وكرر المشايخ عرائضهم الى الباشا ، فاتى بعسكره الى المديرج ليدخل كسروان من الجهة الغربية ، فاحتج البطريرك على دخول العسكر النظامي الى لبنان بدون انهاء مجلسه ، فرجع الوزير بجيشه الى بيت مري ، وطلب رأي ديوان قائمقامية النصارى فاشار بتنبيه الاهالي ونصحهم بالاخلاد الى السكينة قبل اللجوء الى القوة العسكرية ، وكلف الشيخ عيد حاتم القيام بهذه المهمة فقام بها خير قيام وهدأت العاصفة .

واقام المشايخ ثلاثة وكلاء في بيروت للمطالبـة بحقوقهم فلم ينالوا سوى وعود فارغة ، وظل البطريرك المرجع الوحيد ، وتوصل بحكمته وطول اناته الى كبح جماح الثائرين .

اسباب الثورة : من اهم اسباب هذه الثورة انتشار مبادىء الحرية فازدرى الشعب سلطة مشايخه ، واستنكف من القيام بخدمتهم ، وتعالت اصواتـه بالتشكي من جور بعض المشايخ ، وتوالت عرائضه الى البطريرك والقائمقام .

كان الامير بشير احمد من مؤيدي ترشيح المطران بولس مسعـد ، وسُرَّ بانتخاب ابن الشعب هذا بطريركاً .

وعندما زاره البطريرك الجديد في برمانا عاصمة حكمه تقاطرت الجماهير من كل صوب لاستقباله ، وكانت الجبال تردد صدى بارودهم واهازيجهم ، وكانوا يوم ارتقائه الى السدة البطريركية قد قاموا بتظاهرات لم يسبق لها مثيل ، وكثيراً ما هتفوا : فليحيَ بطريرك المساواة والحرية والعدل .

لذلك عند نشوب الثورة اعتقد بعض المشايخ ان البطريرك بولس راض عن رجالها ، مع انه لم يبدُ منه اقل علامة تشير الى رضاه ، هذا سوى انه كان يتألم لالم الشعب ، ويبذل النصح لبعض المشايخ بالوقوف عند حدود الاعتدال .
وكان الامير بشير احمد يعطف ايضاً على ابناء الشعب ، وهو اول امير اقطاعي وزّع الاملاك على اجرائه ، لقاء اتعابهم ، وملكهم ارزاقاً في برمانا ، وانطلياس ، وزحلة ، وتلك كانت الخطوة الاولى الى نقض احكام الاقطاعية في بلادنا ، فأحبَّه الكثيرون من الاهالي. ولما كُفَّت يدُه وتعين مكانه الامير بشير عساف حدث هيجان قوي لم يهدأ الا برجوعه الى الحكم في اوائل سنة ١٨٥٩ ، وبقي فيه الى سنة ١٨٦٠ ، يوم عيَّن فؤاد باشا يوسف بك كرم قائمقاماً للنصارى فظل متربعاً في دست الحكم الى ان نفّذ النظام الجديد ، وجعل لبنان متصرفية .

وكان للانكليز وللاتراك اغراض معروفة . قال المستر مور قنصل انكلترة في بيروت : « ان عضد تركيا لرجال الثورة التي غذاها الامير بشير احمد باستدانة مليوني غرش واضح السبب » . وما هذا السبب سوى رغبتهم بنزع استقلال لبنان الداخلي ، ولم يكن يخطر ببال الامير ان الدولة العثمانية ستتدخل في شؤون لبنان الداخلية ، ولم يكن يقصد من تغذية الثورة بماله الا اذلال الاقطاعيين في كسروان اولًا ، ثم في سائر انحاء لبنان . اما الدولة العثمانية فقصدت تمهيد السبل لمدّ سلطتها الفعلية على لبنان واما حليفتها انكلترة فنوت تقويض اركان النفوذ الفرنسي فيه .

الحرب الاهلية في سنة ١٨٦٠ : ذكر المستر مور ، قنصل انكلترة العام في بيروت ، والطبيب الشهير غراهام حوادث تلك الحرب الاهلية في دير القمر ، وفي حاصبيا ، وراشيا ، وقضاء جزين ، ودمشق وزحله ، والشوف ، والبقاع ، والعرقوب ، والمناصف ، والشحار ، والجرد ، وسهل بيروت ، وبيروت ، والمتن.

تلك الحوادث دفعت البطريرك بولس الى حضّ المؤمنين باسم الدين على ان يسرعوا لنجدة اخوانهم بحيث صار المتحاربون يحسبون هذه الحرب حرباً دينية ،

واضطرته الى ان يعيّن مئتي قرش لكل من ينضم الى المدافعين، وخمسة قروش يومياً لعائلته .

وكان يخشى احداث مذابح في كسروان وشمالي لبنان ، لولا اعلان هدنة عقبها صلح ، عُقد على اساس انه لا يحق لاحد الفريقين ان يطالب بتعويضات وانه من الواجب تناسي الماضي ، ووقع هذه الشروط القائمقامان واصحاب الاقطاعات واعضاء الديوانين ما عدا قاضي النصارى الخوري يوحنا الحاج .

قال سعيد بك جنبلاط للكونت غندور السعد كلمةً هي: « انتم حاسبينها ونحن حاسبينها وكلنا وقعنا فيها » . وهذه الكلمة شرحها الشيخ حسين تلحوق بقوله للشيخ دبلين الخازن : « استخدمتنا الدولة لنضرب بعضنا بعضاً حتى تتمكن من الفتك بنا جميعاً ، وبعد ان عشنا مئات السنين كالاخوة جاءت السياسة ففرقت بيننا وانزلت بنا اشد النكبات » .

عُقد الصلح فارتأى المعتمد الانكليزي الاكتفاء به . انما اخبار الحوادث اقلقت بال فرنسا وباقي الدول ، وبلّغ السيد توفيل وزير خارجية فرنسا سفراء دولته في لوندرا وڤينه وبطرسبورج وبرلين والاستانة ان حكومة الامبراطور ترى من المفيد تأليف لجنة قوامها مندوبو الدول والباب العالي وارسالها الى لبنان للبحث في اسباب الاقتتالات الحديثة وبيان مسؤولية زعماء الفتنة ومأموري الادارة المحلية وتعيين التعويضات الواجب اداؤها لاهل الضحايا ثم لدرس النظامات التي يوافق اتخاذها تداركاً لتجديد مثل هذه الشرور والكوارث وعرضها على حكوماتهم والباب العالي لاجازتها .

قال الامبراطور نبوليون الثالث « اذا كنت قد اقترحت ارسال بعثة عسكرية الى لبنان وسورية فلانني اشعر كالشعب الذي انتخبني رئيساً عليه ، ولان انباء سورية ولبنان اثارت مزيد استيائي. أنا اتمنى ان لا اضطر الى ارسال هذه البعثة لاسباب عديدة ، انما يتعذر علي مقاومة الرأي العام في بلادي » .

الحملة الفرنسية : وصلت العساكر الفرنسية الى لبنـان ، واقبل معتمدو الدول لمؤازرة فرنسا في تحصيل الحقوق ، عندئذ قُدّم صك المضالحة المشار اليه آنفاً فرفضه المندوبون واعتبروه لغوًا باطلًا لخلوه من توقيـع قاضي النصارى الخوري يوحنا الحاج، الذي رقي بعدئذ الى الدرجة الاسقفية ثم الى المقام البطريركي. وصار الشروع في تحصيل بدل البيوت والاشياء التي حُرقت واسترجاع المسلوبات وتأديب المذنبين ، وقصاص المعتدين، وزال الخوف والهلع من القلوب، واستتب الامن في لبنان. وكانت فرنسا تحاول اعادة الامارة المستقلة ، وتولية حاكم وطني شهابي مدى الحياة فخشيت انكلترة ازدياد نفوذ فرنسا واستمالت مندوبي الدول الى مقاومتها . ولما لم يحصل وفاق على الحاكم اوعزت الدول الى مندوبيها بان يقتصروا على وضع النظام فوُضع نظام سنة ١٨٦١ .

البطريرك مسعد ونظام لبنان : اجتمع مندوبو الـدول في سنة ١٨٦١ ووضعوا نظام لبنان ،وقد رأينا ان لبنان لم يكن هادئاً في ايام العثمانيين ، بل كان امراؤه متمردين استقلاليين . ففخر الدين الثاني المعني طمع في الاستيلاء عـلى عرش السلطنة والامير بشير الشهابي ساهم في هدم ما بقي من القوة العثمانيـة فاثار طموح اللبنانيين استياء بريطانيا العظمى فجاءت تساند الباب العالي عـلى كبحه ، وكانت الفرصة مؤاتية بعد حوادث سنة ١٨٦٠ للحد من هذا التمرد بوضع نظام سنتي ١٨٦١ و١٨٦٤ واملت ارادتها فيه وارتاحت اليه الاستانة .

مع هذا النظام عرف لبنان الحكم الدستوري وهو يرجع الى ثماني عشرة مادة في تعيين الصلاحيات وتسيير الادارة بينما في عهد الامراء كان مقيداً بارادة الحاكم الفرد وبتقاليد اقطاعية فيها من الابهام ما اتاح للامراء عدم احترامها في اغلب الاحيان . ومن هذا الابهام استفاد ايضـاً الحاكم الاجنبي اي المتصرف فاستقل في ادارة البلاد ، اذ كان رئيس السلطة التنفيذية متصرفٌ عيّنه الباب العالي بمعرفة الدول السبع ، وقد ارادته انكلترا والدولة العثمانية اجنبياً لانـه على قول المندوب البريطاني ليس في لبنان رجل يصلح لهذا المنصب. اما فرنسا

فالحت بان يكون المتصرف لبنانياً . واشتد النزاع حول هذه القضية بين ممثلي الدول الى ان اهمل ذكر جنسية المتصرف في النظام الاساسي وصار الاتفاق على ان يكون اجنبياً بشرط انه اذا لم ينجح في مهمته يُعين حاكم وطني ، وظل المتصرف اجنبياً الى آخر عهد المتصرفية .

ومن الطبيعي ان يحقق هذا الحاكم مشيئات عديدة قبل مشيئة اللبنانيين ، لانه مدين بتعيينه لسبع دول اجنبية دون ان يكون للبنان فيه رأي ، واذا ادركنا ان رئيس السلطة التنفيذية يعيّن الموظفين ويعزلهم ويستنجد بالجيوش العثمانية متى دعت الحاجة عرفنا ان ادارة لبنان لم تكن بيد ابنائه من حيث السلطة التنفيذية .

اما من حيث السلطة التشريعية فلو أُخضع ابناء لبنان لتشريعهم الوطني لبقي للبلاد شيء من الاستقلال، لكنْ اكثرية الدول شاءت انتزاع الاستقلال اللبناني كله بما اوردته في النظام الاساسي من ان اللبنانيين يخضعون لشرعهم التقليدي القديم .

وقد رأى البطريرك بولس مسعد ما في هذا الشرع القديم من غموض وابهام فطلب ان تتألف هيئة تشريعية وطنية تعطى السلطة التشريعية التي بدونها لا يمكن ان تدار شؤون بلاد ، والح في هذا الطلب اشد إلحاح. غير ان المتصرف اتخذ لنفسه السلطة التشريعية وصار يتخذ حجة من غموض الشرع التقليدي ليلزم اللبنانيين بنصوص قوانين سُنت في الاستانة للرعايا العثمانيين. لذلك كان البطريرك يحتج على قوانين الصحافة والتجوّل والاجتماعات التي طبّقها المتصرف رستم باشا في لبنان .

اما مجلس الادارة فتألف من اثني عشر عضواً وكان ينتخب بواسطة مشايخ الصلح وهو الهيئة الوحيدة التي كانت تمثل الشعب اللبناني في الحكم ؛ ولم يكن له الا سلطة استشارية يستمع المتصرف آراءه ولا يلتزم بالتقيد بها. الا انه كان لهذا المجلس سلاح هام لو عرف ان يحسن استعماله، كان له صلاحية توزيع التكاليف فكان يمكنه الامتناع عن استعمال هذه الصلاحية الى ان يجيب المتصرف مطاليبه، والا تعرقلت اعمال الادارة فالموظفون لا يتمكنون من قبض مرتباتهم والمشاريع تنتظر تقرير الاعتماد .

ومن حيث الوجه الاقتصادي فان هناك ما كتبه المندوب الانكليزي الى حكومته وهو: « ان تخلي الباب العالي عن ثغور بيروت وطرابلس وصيدا يجعل دمشق وسورية باسرها في قبضة صاحب السلطة في لبنان وقيد اوامره »، الى ان يقول: « ويكثر صاحب هذه السلطة من مساعدة فرنسة على انشاء الاديار ومعاهد العلم حتى تكاد تملأ البلاد . وينتقي رؤساء هذه المعاهد من ذوي الجدارة والاقتدار فيستترون بوظيفتهم كرعاة ومثقفين للشعب لانجاح سياسة فرنسة بطريقة انجع مما لو استخدمت فرنسة لهذا الغرض معتمديها وموظفيها العلمانيين. وعليه يجب تصغير لبنان لئلا يكون دولة قوية حليفة لفرنسة » .

لذلك اقتطع منه سهل البقاع وبيروت وطرابلس وصيدا وعكار وهكذا سلخت عنه اخصب اراضيه فعاش اللبنانيون في عراك دائم مع صخورهم يفتتونها فتصير حقولًا وجنائن . وعندما تشتد عليهم الحاجة يهاجرون الى البلدان النائية. مع ان نظام لبنان كان قد قضى في سنة ١٨٦١ أولًا بضم البقاع الى لبنان لانه باراضيه المخصبة منبع ثروة تغني ابناءه عن المهاجرة . ثانياً بجعل بيروت وطرابلس وصيدا مدناً حرة ومنفذًا للبنان على البحر .

فسُرَّ البطريرك الماروني بهذا الضم كل السرور . وكان قد طالب بتعيين حاكم وطني مسيحي لهذه البلاد . غير ان الدول بعد ان قررت ضم البقاع مع المدن المشار اليها الى لبنان رجعت عن قرارها في سنة ١٨٦٤ وسلخت عنه هذا الجزء الحيوي في عهد فرنكو باشا ارضاء لخاطر انكلترة .

فاضطر البطريرك بولس مسعد ان يسكت عن هذا الاقتطاع الجائر، وعن تعيين حاكم اجنبي وعن عدم تأليف هيئة تشريعية وطنيـة اذ هكذا شاءت انكلترة واكرهت فرنسة على السكوت فسكت البطريرك معهـا مكرهاً .

ثورة يوسف بك كرم : تسلم داود باشا الحكم في لبنان في ٩ حزيران من سنة ١٨٦١ ولم يكد يستقر به المقام حتى شعر الوطنيون بما في تعيين هذا الحاكم الاجنبي من خفض لشأن لبنـان ، وسرت في البلاد حركة نفور ظهرت

بوادرها على يد يوسف كرم ، وثار القوم بقيادته على داود باشا كما ثار آباؤهم على عمر باشا في سنة ١٨٤٢ ، ولم يكن لثورة كرم من نصيب في النجاح الا اذا ايدتها الدول كما ايدت ثورة سنة ١٨٤٢ . ثار كرم وثارت معه البلاد وكان نصيبه الفشل لان الدول لم تؤيده وتغاضت فرنسة عنه ، وذلك بعد ان جرت له مع داود باشا معارك كان الفوز فيها بجانبه .

في سنة ١٨٦٧ طاف كرم في انحاء البلاد داعياً الى محاربة الحاكم الاجنبي، فتألّب حوله رجال لبنان فسار بهم زاحفاً الى بيت الدين مقر المتصرف وبلغ بهم بلدة بكفيا في اواسط شباط من السنة نفسها ، وهناك نشب القتال بين اسود لبنان والعسكر النظامي . وفيما كان العراك على اشده وصل الشيخ صليبي الخازن وبلّغ كرم ان قنصل فرنسة يريد منه الكف عن القتال ، وانه ينتظره في بكركي . ففهم كرم ان الذين كان يعتمد عليهم قد تخلوا عنه فردّ السيف الى غمده وغادر الوطن المحبوب الى المنفى .

في ١٣ ك ١ سنة ١٨٦٩ كتب لنورمان الى البطريرك بولس مسعد يخبره بما كان من هياج الرأي العام في فرنسة ونقمة الشعب بسبب وقف حركة يوسف كرم .

في خلال شهر حزيران من سنة ١٨٦٩ سافر البطريرك الى رومية وحضر المجلس الاول والثاني والثالث في البلاط الفاتيكاني وأُخذ رأيه في جملة قضايا منها قضية تثبيت قديسين كثيرين. ومن رومية انتقل الى باريس حيث زار كبراء الدولة والرؤساء الروحيين وحظي بمقابلة الامبراطور نبوليون الثالث وقدم لجلالته فروض الشكر على ارساله الى لبنان حملة عسكرية اعادت الى ربوعه السلام والطمأنينة . ثم قصد الاستانة وقابل السلطان عبد العزيز وقال لجلالته : « نحن في عهد سلام في ظل عرشكم السامي. انما ينقصنا شيء واحد وهو ان فريقاً من اللبنانيين وهم ابناؤكم المسلمون ملتزمون دون ابناء المسيحية بالخدمة العسكرية، فالتمس اعفاءهم من هذه الخدمة حتى تسود المساواة والمحبة ويتفق ابناء لبنان على الدعاء لتأييد عرشكم فأنا اعتبر كل اللبنانيين اولادي وكلنا لخدمة

جلالتكم » .فذُهش السلطان من حكمة ولباقة البطريرك واجاب بكل ارتياح ملتمس غبطته. وقدّر المسلمون في انحاء الشرق هذه الخدمة حق قدرها، واصبح البطريرك الماروني ملجأ كل الطوائف المسيحية وغير المسيحية .

رقد البطريرك بولس مسعد بالرب في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠ وهو في الخامسة والثمانين من العمر ، بعد ان أدار الكرسي الانطاكي مدة ٣٦ عاماً . ودفن في كنيسة مار بطرس وبولس في عشقوت مسقط رأسه .

يوحنا الحاج :تمّ انتخابه في ٢٩ نيسان من سنة ١٨٩٠ واثبته البابا لاون الثالث عشر في ٢٣ حزيران من السنة نفسها ، وقال في براءة التثبيت : « ان اعمال الطائفة المارونية جليلة طائرة الصيت » . وفي ما كتبه الكردينال لودوكوفسكي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس شهادة قيمة بحق الطائفة ،وهذا نصها : « ان الكنيسة المارونية الشريفة بفضل اتحادها الصادق الدائم مع كرسي القديس بطرس المعصوم من الضلال قد حمَت وحفظت في الشرق على مدى الاجيال الايمان الكاثوليكي . وفي القرن الماضي لم تألُ جهداً عن العمل في هداية قسم معتبر من الطوائف الشرقية المنفصلة الى الايمان القويم ، نخص منهم بالذكر السريان والملكيين » .

كان هذا البطريرك بارعاً في علم الفقه المدني والكنسي ، سديد الرأي ، ماضي العزيمة ، عرك الدهر والدهر عركه ، فكان السياسي المحنك والاداري المدرّب .

في عهد الامير حيدر اللمعي قائمقام النصارى ،طلبت الحكومة من البطريرك يوسف حبيش ان يعين لدى الامير قاضيين لفصل الدعاوى ، فعين الخوري يوحنا الحاج والخوري يوحنا الحبيب ، وتعاطى هذان الكاهنان الفاضلان وظيفتهما بكل استقامة فاكتسبا اسماً صالحاً .

في عهد الامير بشير احمد بارح الخوري يوحنا الحاج وظيفة قاضٍ في ديوان القائمقامية ، وتقلّد وظيفة كاتب سر للقصادة الرسولية في ايام القاصد برنوني ،

وأُقيم مكانه الخوري يوحنا الحبيب الذي كان قاضياً في الجبل خارج المجلس . غير انه في سنة ١٨٥٥ ترك وظيفة قاضٍ في الديوان،فطلب القائمقام من البطريرك ارجاع الخوري يوحنا الحاج اليه فأُجيب طلبه .

في سنة ١٨٥٦ لما برز الى الميدان خصوم الامير بشير أحمد قائمقام النصارى ، ارسل سعيد بـك جنبلاط كاتب سره البكباشي الماروني يوسف الخوري البكاسيني مع وفدٍ من عقال الدروز ، ليخاطبوا البطريرك بولس مسعد في امر مصالحة القائمقام والمشايخ الخوازنة ، فامتدح البطريرك سعيهم وضم الى وفدهم الخوري يوحنا الحاج ، فذهب برفقتهم عند كبار المشايخ وبذل قصارى جهده في اقناعهم بأن التحزب ضد القائمقام سيؤدي الى فتنةٍ ينتظرها اعداء الوطن اللبناني بفارغ الصبر. فالخوري يوحنا هذا كان ذا فكرٍ ثاقب ، يرى في مجرى الاحوال الحاضرة ما سينتج عنه في الزمان الآتي. لذلك انذر الخوازنة بوخيم العاقبة ، فلو أعاروا إنذاره انتباهاً لتداركوا الثورة الكسروانية والحرب الاهلية .

عقب الحرب الاهليـة التي حدثت في سنة ١٨٦٠ تشتت ارباب ديوان القائمقامية ، فنزل الخوري يوحنا الحاج الى بيروت ، واقام في دار السيد نصر الشنعيري ، وعكف على وضع تقرير ضافٍ ابان فيه كل مـا حدث في تلك الحرب الاهلية من خراب ودمار وسفك دمـاء ، نقله الى الافرنسية طنوس الجرّ من غزير . ولما كان يتعذر على الخوري يوحنـا السفر الى فرنسة لشدة المراقبة ، سلّم التقرير الى المطران سيكابترا رئيس اساقفة ازمير اللاتيني،وكان على اهبة السفر الى فرنسة . وما وصل هذا الحبر الجليل الى مرسيليا حتى بدأ ينشر التقرير المشار اليه في الجرائد ، وتابع نشره فذاعت في فرنسة اخبار سنة الستين ، وهاج الشعب الفرنسي هيجاناً دفـع الامبراطور نبوليون الثالث الى ارسال تلك البعثة التي وضعت حدًّا للقلاقل والفتن في لبنان .

قلنا سابقاً انه لما وصلت الحملة الفرنسية الى لبنان قُدّم لمندوبي الدول عقد المصالحة الذي كان قد ابرم على اساس عدم المطالبة بتعويض وتناسي الماضي ، وعدّه موفدو الدول لغواً باطلاً لخلوه من توقيع قاضي النصارى الخوري يوحنا

الحاج ، فبدأوا بالمطالبة ببدل البيوت والاشياء التي احرقت واسترجاع المسلوبات وتأديب المذنبين وترتيب الاحكام بموجب نظام دولي. فزال الخوف من القلوب وشرع المشايخ الخوازنة يتقاطرون راجعين الى كسروان ، وتسلموا أرزاقهم التي كان رجال الثورة قد استولوا عليها .

وقد سام البطريرك بولس مسعد الخوري يوحنا الحاج مطراناً لابرشية بعلبك، بناءً على طلب اهل الابرشية ، وكانت سيامته في كنيسة مار يوحنا مارون في كرسي الديمان .

وكانت كرسي ابرشية بعلبك اسماً بدون مسمى لعدم وجود محل لاقامة مطرانها ودخل كافٍ لمعيشته ، فالتزم المطران ان يقيم في دير سيدة الحقلة واستدان مبلغاً للصرف على نفسه وعلى الواردين لتهنئته. غير ان هذا الحبر الهمام لم يلبث ان ذلّل بحسن تدبيره كل صعوبة ، وتمكن من اقامة كرسي فخم في عرامون ، ومن اقتناء ارزاق واسعة جعلت ابرشيته من اغنى ابرشيات الطائفة، ومن تجديد كنائس ومدارس واديار .

كان ذا حكمة نادرة المثال ، كثيراً ما بدت في مواقفه الدفاعية عن الحق مدة توليه القضاء ، وفي اجوبته الرصينة السديدة، منها جوابه لمتصرف لبنان عند ما بلغه ان السلطان يوجب عليه طلب الفرمان والّا فلا يعترف له بحقوق الولاية . قال: « نحن الموارنة ابناء لا غرباء والابناء ليسوا بحاجة الى ان يُعترف بحقوقهم ».

في السنة الواحدة والسبعين من عمره تبوّأ العرش البطريركي ، فكان شيخاً في سنه ، شاباً في نشاطه. في وقت قليل تمكن من ان يجد المال الكافي لتشييد صرح بكركي الفخم الفسيح الارجاء المتقن البناء على طراز حديث عزّ وجود مثله يومئذٍ في هذه الديار. واشترى املاكاً واسعة في محلة المغيرة قرب العاقورة ، خصّصها لاجل انشاء مدرسة اكليركية .

هذا فضلًا عما وقفه من الاملاك لمدرسة عين ورقة ، وعما بذل من مالٍ لمساعدة نائبه المطران الياس الحويك خلفه في الكرسي البطريركي ، على تجديد مدرسة رومية التي أقفلتها منذ نحو قرن طوارئ الحدثان ، وكانت قد

انجبت للطائفة وللشرق اجمع عدداً من العلماء الاعلام ، وعلى شراء دارٍ في اورشليم واخرى في باريس اقيم في كل منهما وكالة بطريركية .

ولما كان داء القمار قد تفشى في هذه الديار وأدَّى الى خراب بيوتات كثيرة، أصدر منشوراً ابان فيه كل اضرار هذا الداء الوبيل ، وحرّم تعاطيه وحضور جلساته .

وقف حياته على خدمة الطائفة والبلاد ، وكثيراً ما كان يقول : « اذا كانت عظامي تنفع الطائفة فخذوها واجعلوها محرقةً في سبيل خيرها » .

وافته المنية ليلة عيد الميلاد في سنة ١٨٩٨ ودفن في بكركي ، الصرح العظيم الذي سيخلّد ذكره .

بطاركة القرن العشرين

الياس الحويك : ولد في حلتا من بلاد البترون في اواخر كانون الاول سنة ١٨٤٣ . تخرج من مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ، وفي سنة ١٨٤٤ ارسله البطريرك بولس مسعد الى مدرسة نشر الايمان المقدس في رومية حيث اكمل الدروس العالية .

سامه البطريرك بولس مسعد مطراناً وجعله نائباً بطريركياً في الشؤون الروحية.

وفي عهد سلفه البطريرك يوحنا الحاج وبمساعدته توفق الى تجديد المدرسة المارونية في رومية ، ونال عدة كراسي لتلامذة الموارنة في مدرسة سان سولبيس، وانشأ وكالتين بطريركيتين في القدس وباريس

وفي ٦ كانون الثاني ١٨٩٩ انتخب بطريركاً. استهل منشوره الاول بقوله : « سابذل جهدي وراحتي بل حياتي لتعزيز الطائفة واصلاح امورها الدينية والزمنية ، واستئصال ما قد يكون هناك من شوائب ، وادخال ما تمس اليه الحاجة من الاصلاحات المفيدة على مقتضى رسوم المجمع اللبناني ». وفي ١٩ حزيران من سنة ١٨٩٩ انعم عليه البابا لاون الثالث عشر بدرع كمال الرئاسة

في اوائل عهده حقق مشروع جر المياه من درعون الى الصرح البطريركي، فتحولت الاراضي حوله الى حدائق غناء .

انفق مبلغاً وافرًا لشراء آنية ثمينة وزينات فاخرة وملابس مختلفة لكنيسة الكرسي البطريركي ، فاصبحت مع ما زانها به من رسوم بديعة الفنان يوسف الحويك ابن شقيق غبطته من اجمل كنائس لبنان .

شاد في الديمان قصرًا فخماً اسماه « كرسي جديدة قنوبين » ، محافظةً على اسم كرسي قنوبين المنقولة من وادي قنوبين الى قمة الديمان . وجرّ اليه المياه

الغزيرة التي تدفقت في جوانبه وحوّلت اراضيه الواسعة الى حقول وجنائن .

سعى جهده في المحافظة على ماديات الكرسي واملاكها. اشترى في درعون قطعة ارض بقيمة ١٢٠٠ ليرة ذهباً وفيها استنبطت المياه فاتت ضمن قساطل تروي الظمأ وتنعش الاملاك والبستان الجميل المحيط بالكرسي. ومن مآثره بناء جسر موصل من وادي بكركي الى زوق مكايل . ثم زرع غابة من الصنوبر لتحسين المناخ ، واشترى حرجاً قبالة درعون وقسماً من الحرج القائم فوق حارة صخر تسهيلاً لرعاية ماشية الكرسي ، واشترى قطعة ارض بقيمة ٨٠ الف قرش ذهباً وغرسها زيتوناً ، واشترى املاكاً في الحازمية وامر بغرسها زيتوناً ، وعني بشغل املاك الدامور. اشترى املاكاً في سبرين وجبيل والحميري والمشنقة وصلعاتا بمبلغ خمسين الف ليرة حجرًا . جدد في الديمان وجوارها خمسين حارة للشركاء وامر بغرس كرم واشجار من الارز وبعمل بستان لزرع الخضر وغرس الاشجار المثمرة في جدار الكرسي . باعَ بعض قطع متفرقة واشترى بدلًا منها محلات اخرى لضم الاملاك بعضها الى بعض .

جدد وغرس زيتوناً في كفرزينا وفي كفرشخنا وفي مجدليا وبنى محلات لوكلاء الاملاك وبنى لهم كنائس واشترى املاكاً اخرى بمبلغ ١٤٠،٠٠٠ قرش حجرًا.

وعلّل عن دواعي بيعه بعض املاك ، برغبته في مشترى غيرها لضم الاملاك بعضها الى بعض ولكيما يتمكن من بناء القصر البطريركي في جديدة قنوبين. وهذا البناء بلغت تكاليفه مليون ونصف قرش ذهباً .

اوجد ابرشية صور وعزّز الوكالات البطريركية في باريس والقدس ومصر ، واوفد المرسلين الى نواحي افريقيا واميركا فشادوا الكنائس والمدارس والملاجئ والمياتم والمستشفيات ، وعززوا الصحافة والجمعيات في انحاء اميركا الشمالية والجنوبية.

في عهدهِ أُجري التحقيق في دعوى تطويب عبيد الله نعمة الله كساب الحرديني وشربل مخلوف بقاعكفرا ورفقا الريس من حملايا .

ولما صار تطويب الشهداء المسابكيين ذكّر ابناءه بما احتمله الجدود في سبيل الدين ، وكيف ان هذا الشعب القليل العدد القاطن ضمن نطاق هذا الجبل

الصغير قد استطاع المحافظة على كيانه ومعتقده الكاثوليكي مدة اجيال، غير متأثر بالاضاليل التي تكتنفه من كل جهة، رغماً عن سطوة الدولة التي دكّت اركان المماليك، وهدمت حصون العواصم الاوربية؛ ثم ختم كلامه بهذه النتيجة: « فليكن اكرامكم لذكرى شهدائنا وسيلةً لتأملكم بتضحيتهم، ودافعاً لازدياد تمسككم بمبادئ الدين القويم ».

نشط لتشييد مدرسة اكليريكية عامة في مدينة البترون، وبنى منها جانباً كبيراً وسلّم ادارتها الى المرسلين اللبنانيين ولكن الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) حالت دون اتمام هذا المشروع الخطير، كما عرقلت له جملة مشاريع كان ينوي إتمامها لمصلحة كهنة الرعايا، ولتعمير كنائس القرى ومدارسها.

وبعد نهاية الحرب جمع المطارنة مراتٍ للمفاوضة في أمر انشاء مدرسة اكليريكية عامة، وتتابعت بعد وفاته المحادثات بهذا الشأن حتى صدر قرار بتسليم هذه المدرسة الى الآباء اليسوعيين ففتحوها في غزير واصبح اليوم عدد تلامذتها نحو مئتين، وفي مدرسة مار عبدا هرهريا بادارة البطريركية ما يقارب هذا العدد من التلامذة.

انشأ جمعية راهبات العيلة المقدسة المارونيات للعناية بتهذيب البنات وتثقيفهن، وبذل في هذا السبيل نحو مئة الف ليرة عثمانية ذهباً من دخله الخاص، ومن تبرعات اهل الخير والاحسان في فرنسة، وعند مماته كانت هذه المؤسسة المباركة قد نمت وازدهرت وتعددت مدارسها في لبنان وسورية. وقد رقد رحمه الله قريرَ العين بما شاهده من نجاح مساعيه الخيرية العظيمة.

وفي مدة ثلاث وثلاثين سنة أصدر مناشير كثيرة تألف منها مجموعة كبيرة طبعت في سنة ١٩٣١ في مطبعة المرسلين اللبنانيين، ذكرنا منها منشوره الاول، ونذكر الان بعض مناشيره نظراً لما فيها من تذكارات ملؤها العِبر، ففي منشوره التاسع أبان فساد مبادئ الشيعة الماسونية واطلق الحرم على ابنائه الذين انضمّوا اليها، فأقام هذا المنشور جمعية الماسون واقعدها. واليك بيان المناسبات التي اوجبت إصدار هذا الحرم.

سافر البطريرك في سنة ١٩٠٥ قاصداً رومية ففرنسا فالاستانة . اغتنم الماسون فرصة غيابه فبعثوا الى الباب العالي بعرائض الشكوى من انه يؤيد الجمعيات المطالبة باللامركزية ، وفصل المقاطعات العربية عن الدولة العثمانية ، فأوغروا صدر السلطان عليه . واضطر ان يتوقف في رومية اكثر من شهرين حتى توفق الى استرضاء السلطان ، فتسنى له دخول الاستانة ومقابلة جلالته ، وساعده على ذلك نجيب باشا ملحمة الذي كان قد رقي الى منصب الوزارة[1] .

حظي غبطته بمقابلة عبد الحميد وسُرَّ بما لقيه من عطفه وعند الوداع قال له السلطان : « اذهب الى الصدر الاعظم وهو يطلعك على اشياء تهمك » . فذهب اليه وتسلّم منه رزمة من اثنتين واربعين عريضة مشحونة بوشايات واكاذيب لفقها بحقه ماسون لبنان .

ولدى عودته من اوروبا ، رأى فروع الجمعية الماسونية قد تعددت في كل قضاء كسروان ، وفي كثير من قرى جبيل والبترون والجبة والمتن والشوف. عندئذ أصدر منشوره التاسع مبيّناً فيه ان الغاية التي يتوخاها الماسون ما هي الا هدم ما بنته كنيسة المسيح في العالم من مؤسسات اسعافاً للفقير ، وذوي العاهات ، وقال غبطته :« لا يناصر الماسونية الا من اراد تنفيذ مآربه السيئة وان تكن مضادة للدين ومنافية لمصلحة البلاد » . وقال ايضاً :« ان واجبنا الرعائي يقضي علينا باظهار شرورها » . واعلن انه يكون محروماً من ذات الفعل كل من اكتتب في عداد اعضاء هذه الجمعية ، ومن ناصرها ، ومن لم يعلن للرؤساء اسماء زعمائها ، وحلّه محفوظ للسلطان البطريركي. عند ذلك قام الماسون بتظاهرات عديدة ومشى رعاع القوم في الاسواق هازجين قائلين :

بكركي لازم ما نهدّا البطرك ما هو من قدّا
البطرك ما هو عمدتنا فارس مشرق سيدنا

---

١) اصاب نجيب باشا ملحمة حظوة لدى السلطان عبد الحميد ، فعيّن في بادئ الامر رئيساً لكتابة اسرار السفارة العثمانية في باريس ، ثم عضواً في مجلس شورى الدولة ، ثم معتمداً لدى امارة بلغاريا ، ثم رقي الى منصب الوزارة ، وكان اخوه سليم قد رقي الى رتبة الوزارة السامية فعُد الاخوان من نوابغ الوطن اللبناني .

البطريرك يوحنا الحاج

(بريشة حبيب سرور . بكركي)

البطريرك الياس الحويك

وفارس مشرق هذا رجل من طائفة الروم ورئيس محفل صنين اكبر محفل ماسوني في لبنان .

وفي احدى جلسات الماسون قال احدهم وهو من ابناء الطائفة المارونية : « لقد انتهينا من بطريرك الموارنة . فلننظر الآن في امر رؤساء باقي الطوائف» . فعارضه بذلك رئيس المجلس والاعضاء . مما يدل على ان حملة الماسون لم تكن تقصد الا بطريرك الموارنة .

عَزَل مظفر باشا كل مأمور لا يتقيد بالماسونية . وكان القنصل فوك دي پارك يعتقد ان نفوذ الاكليروس قد سقط في لبنان ، وساد الحزب الماسوني ، وان من مصلحة فرنسا الاعتماد على هذا الحزب .

عقد زعماء الموارنة اجتماعاً في بكركي حضره امراء ومشايخ واعيان من كسروان وبشري واهدن وتنورين وحصرون ، ومن بيروت ونواحي المتن والشوف والجنوب ، وقرروا اعداد مظاهرات يقوم بها الشعب في بيروت تجاه قنصلاتو فرنسا ، مطالباً الدولة الفرنسية بالمحافظة على عهودها مع البطريركية المارونية ، وتوالت الوفود من اعالي الجبال ومن الوسوط والسواحل ، رافعين الاصوات احتجاجاً على سكوت فرنسا عن سياسة قنصلها العام المخالفة لتقاليد دولته ، واخذ المرسلون من يسوعيين وعازاريين يرسلون التقارير الى وزارة خارجية فرنسا مبرهنين على ان الشعب الماروني كله ما عدا بعض ذوي الغايات متمسك ببطريركيته وكذلك ابناء باقي الطوائف المسيحية وغير المسيحية يستنكرون طغيان الشيعة الماسونية .

وما طال الامر حتى استدعت الحكومة الفرنسية قنصلها فوك دي پارك ، وعيّنت مكانه السيد كوجه ، مزودًا بتعليمات مفادها : « لا يجري شيء بدون موافقة البطريرك الماروني » . عندئذ طأطأ مظفر باشا الرأس ولم يلبث ان قضى نحبه وتضعضع حزب الماسون في لبنان .

وفي منشوره الحادي عشر تكلم البطريرك عن واجبات كهنة الرعايا واوجب

عليهم شرح التعليم المسيحي في قداس الآحاد والاعياد،وفرض على كل منهم ان يطالع في الشهر مقالة من مقالات اللاهوت الادبي،واعلن ان من لا يقوم بشرح العقائد او يهمل درس اللاهوت يتربط عن القداس مرةً من ذات الفعل .

اقام في حريصا تمثالًا لمريم العذراء التي اوتيت مجد لبنان، ودُعيت في الطلبة ارزة لبنان. ولم يتأخر في مناشيره عن الجهر بان لبنان هو « مملكة مريم العذراء » يشهد لذلك عبادتها الموروثة عن الجدود ، ومعابدها القديمة والحديثة ، القائمة في كل قرية، والانتظام في اخوياتها والاشتراك في ورديتها وثوبها والاحتفال بشهرها المبارك شهر ايار ، في كل بيت من بيوت الموارنة . وقال : « غنيٌّ عن البيان ما لطائفتنا من شديد التعلق بعبادة العذراء، وانا نعزو ثبات الطائفة في الايمان الى شفاعة هذه الام القديسة وعنايتها الخاصة بوطنها الرمزي لبنان، فلا نملّ من الحض على عبادة هذه السلطانة القديرة لتواصل عنايتها بالطائفة العزيزة،وتسحق اعداء الايمان وجنود الشيطان تحت اقدام ابنائها » .

وفي منشوره الثالث والعشرين برهن على ان آفة العصر هي التفلسف على الدين،ولم يتمالك عن الغضب المقدس على اولئك الذين أرادوا افساد هذا الوطن المقدَّس حصن الايمان الحصين فنادى بمنشوره على شعبه قائلًا : « يهلع منا القلب حين نرى ما يتهددكم في ايمانكم من الاخطار الجمة ، وعندمـــا يتمثل لخاطرنا حالة لبناننا العزيز بالامس واليوم ، فلبنان بالامس مربض الاسود،وحصن الايمان الحصين ، ومعقل الدين ورجاله ، واليوم أمسى مسرحاً لبنات آوى ، تسرح فيه عاملةً جهدها على افساد ما تحلى به جبلنا المبارك من تدين،وعدل ، وطهارة». ولما كان قد دبَّ الريب الى بعض العقول بمطالعتها فلسفة كافرة، بيَّن في رسالته ضرورة الدين ومنافعه للافراد والجماعات وكم يجب على الانسان التمسك به ، ثم تخطى الى اظهار الدين الحقيقي وعلاماته، وفنَّد اعتراضات المتفلسفين الزاعمين ان الدين مضاد للعقل ، وان الاسرار لا يرضى النور الطبيعي بالخضوع لها،وعن حياة الشعوب قال : « آفة العصر الالحاد والكفر والزندقة » .

وفي منشوره الخامس والاربعين جدّد حرم لاعبي القمار ، الذي اصدره سلفه

البطريرك يوحنا الحاج ، وأبان أن من يستعمل طرق الغش والاحتيال في هـذا اللعب ، كما في غيره، يلتزم من قبل العدل البدلي ان يرد ما ربحه بهذه الوسائل المحرمة.

قال طابع مناشير هـذا البطريرك : « ان مناشيره تصوره تصويراً معنوياً وخلقياً ، ومن طالعها تحقق لديه صدق القول المشهور : « الانسان باصغريه قلبه ولسانه ». ومن ذكره ذكر صلاةً وزهداً وتواضعاً وتقىً وتجرداً ووفاءً واحتراماً لرأس الكنيسة وحكمةً وتفانياً في خدمة قومه ، وغيرة متقدة عـلى خلاص النفوس ، وهذه مناشيره تشفُّ عما جمّله الله به من الصفات ، والمواهب الجمة ، فما اذاعه على بنيه هو نتاج قريحته ، والترجمان عما يكنه قلبه الابوي من الحب والسهر على خيرهم ومقدراتهم » .

قلنا ان الحرب الكونية الاولى عرقلت مشاريـع البطريرك الحويك الاصلاحية ، ففي تلك الحرب الهائلة شمل الويل العالم أجمع ، وغمر الخراب كل انحاء لبنـان ، فتهدمت البيوت ، وتعطلت الارزاق ، وباد اكثر من نصف اللبنانيين جوعاً ، فشاطر البطريرك امته مصائبها ، ووزع المال عـلى فقرائها واحتمل الاهوال من استبداد جمال باشا .

دخلت تركيا الحرب بجانب المانيا ضد فرنسة واحتلت لبنان لانه ميـال الى هذه الدولة عدوتها ، فحاصرت بلادنا من كل الجهات وقطعت عنها كل مدد من جهة البحر ، وصعبت جلب الحبوب من سورية وقنّنت الاعاشة تقنيناً قاسياً تأباه الانسانية ، فازداد الغلاء وقلّ المال واضطر الناس الى رهن املاكهم عند اغنياء بيروت وطرابلس ، للحصول على القليل من الدراهم ، غير الكافية لسد الرمق فكان نصيبهم الموت جوعاً .

وكللت المصيبة باكتساح الجراد ارض لبنان اكتساحاً لم يسبق له مثيل في التاريخ ، فكان الزحّاف يغطي السهول والتلال والوهاد والجبـال ، والطيّار تتوالى موجاته في الفضاء حاجبةً نور الشمس فلم يبق في لبنان كله اثر لزرع او عشب ، وفتك الجوع بالاهلين وتفشت الامراض الوبائية والحميّات التيفيـة والتيفوسية ، فكنا نرى الضحايا متساقطة على الطرقات تساقط اوراق الشجر

في ايام الخريف، وكان بعض الرجال الاصحاء يعاونون الكاهن على دفن الجثث في البراري ، لان المقابر امتلأت ولم يعد فيها محل لجثة واحـدة ، وفي البراري والحقول كنا نقيم صلاة الجناز ، ونور الشمس يُغني عن الشموع ، ثم نواري الميت التراب بدون كفنٍ ولا تابوت ، ولو لم تقصر تلك الايام لقضى اهل لبنان اجمعين فريسة الجوع وضحية الاوبئة .

كان البطريرك يؤاسي ويعاون ويبذل الى ان رأى جمال باشا قائـد الفيلق الثاني انه لم يبقَ في لبنان غير البطريرك يهتم باعاشة الشعب ، فأمر بنفيه بعـد ان شنق من شنق ونفى من نفى من كبار القوم وشدَّد الخناق على المطارنة ، فارتجّت البلاد وانتشر الخبر في العالم فانتقذت البطريرك يدان مباركتان هما يدا قداسة البابا بنديكتوس الخامس عشر .

كان جمال باشا قد أمرقائمام زحلة بتخصيص فندق قادري لنزول البطريرك فيه، وكان في النية نقله الى مكان ابعد في داخل سورية حيث يدبر أمر القضاء عليه .

فكيف عدل جمال باشا عن هذا التدبير ، وسمح بان يرجـع البطريرك من صوفر في اول مرحلة من مراحل النفي الى كرسي ابرشية قبرس في قرنة شهوان، ما ذلك الا لان قداسة البابا الآنف الذكر لما درى بالخطر المهدد البطريرك الماروني اوفد من قبله مندوباً الى عاصمة النمسا استنهض همة الامبراطور شارل حتى تدخل مع حليفه السلطان العثماني ، وحمله عـلى اصدار « ارادة سنية » بالكف عن ازعاج البطريرك الماروني .

عاد الراعي الى رعيته يرعاها ويدفع الموت عنها بأموال اللبنانيين المغتربين ، التي كانت تصله خلسة مع اعانات فرنسا ، وامر الرهبانيات واكليروس الطائفة بان يبادروا الى بذل المساعدات الشاملة للانحاء دون ان يقتصروا على مساعدة شركائهم ، واصدر امره بانشاء افران مجانية على حساب الكرسي البطريركي في بكركي وجونية وجبيل والبترون والجبة والديمان ، وامر المدارس البطريركية والاديار الخاضعة رأساً لولايته بانشاء افران على حسابها في القرى الجامعـة ، وخصص لمساعدة الفقراء المال الذي كان جمع ليوبيله .

قال المطرآن بولس عواد ، رئيس اساقفة قبرس ، في منشور وجهّه الى ابناء ابرشيته وصف فيه البلاء الشامل ، وعدَّد المساعدات المبذولة في كل انحاء البلاد ما نصه : « لما كان البلاء العام المنتشر في الاقطار اللبنانية والمجاعة المهددة الاهالي المساكين لا يستطيع دفعها الا الله ، وشفاعة مريم العذراء محامية الجبل بنوع خاص منذ القديم والمدعوة في الطلبة ارزة لبنان ، رأى غبطة البطريرك مار الياس بطرس الحويك ان لا بد من الالتجاء الى شفاعتها بنوع مخصوص في البلايا الحالّة في البلاد التي لم يعهد لها مثيل في الماضي ، ففرض اقامة الزياحات لتشفع بطائفتنا والصلوات لاخماد غضب الله واصدر منشوراً عاماً في الطائفة فرض فيه صلاة لسيدتنا مريم العذراء نيابةً عن الشعب كله . لعلّ الله يتنازل ويعامله برحمته لا بعدله » .

كان هذا البطريرك الحكيم قد اتخذ منذ سنوات الخوري بولس عقل كاتباً لسره وفي زمن الحرب عهد اليه بمهمة السعي لمساعدة المنكوبين وبهذه الصفة اتصل بالبحرية الفرنسية وتعاون مع رجالها على ايصال ما كانت ترسله فرنسا من اسعافات مالية لفقراء لبنان . وكان ينزل الى البحر ليلاً معرضاً نفسه لخطر الشنق لان جمال باشا في خوفه من نزول الفرنسيين في سواحل لبنان تهدد بالشنق كل من يقترب من احدى السفن ، فلم يحفل موفد البطريرك بهذا التهديد بل كان ينزل الى البحر ويتسلم المال ويعود به تحت جنح الليل الى دير من أديار الرهبانية اللبنانية او الى احدى المحابس او الى كهف في احدى الوهاد النائية العميقة . ومن هناك كان يوزع المساعدات بواسطة الكهنة ، وكثيراً ما كان يعهد بهذه المهمة الى صاحب هذا التاريخ .

ونذكر ايضاً ما بذله الرئيس العام للرهبان اللبنانيين الاب اغناطيوس داغر التنوري من مال لمساعدة فقراء لبنان . فانه علاوةً على المبالغ التي قبضها من البطريركية على حساب المعوزين قد استدان مبلغ مئة وثمانين الف ليرة عثمانية ذهباً ، وفرقها على المحتاجين . وكان قد ارسل بعد اخذ رأي البطريرك والقاصد الرسولي الى حكومة فرنسة سنداً وعد به بوفاء كل ما تُرسله من مساعدات

مالية الى فقراء لبنان في كل مدة الحرب ، غير ان فرنسة ابت الا ان ترسل المال على سبيل الاحسان دون ما عهود ولا وثائق .

وللرهبان الحلبيين والانطونيين وجمعيـة المرسلين اللبنانيين ولرؤساء سائر الطوائف فضل في اغاثة فقراء الحرب .

مساعي البطريرك الياس الحويك في سبيل استقلال لبنان [1]

وضعت الحرب اوزارها وجلا الاتراك عن الديار اللبنانية في ٢٩ ايلول سنة ١٩١٨، ودخل الامير فيصل دمشق وتقلد زمام الحكم واوعز الى بلدية بيروت برفع راية الحجاز على دور الحكومة ووصل ضابط عربي لتنظيم الحكومة الجديدة فاعترضه الانكليز وتعين الكولونيل دي بيا پاب الفرنسي حاكماً في بيروت .

لما انضمت تركيا الى المانيا وحليفتها النمسا في تلك الحرب العالمية احتلت لبنان وحلّت حكومته الشرعية وألّفت هيئة حكومية جديدة دامت حتى انهيار المحور . وعندئذٍ احتلَ الحلفاء بلدان اعدائهم ومن جملتهـا لبنان ؛ وكان اول عمل اتوه ارجاع حكومته الشرعية اليه ، وفي مقدمتها مجلس الادارة المنبثق من الشعب بانتخـاب حر ، وهو دون سواه يحق له ان يتكلم باسم الشعب ، ولا يغرب عن بال احد ان الوفود الثلاثة التي ارسلها لبنان الى مؤتمر الصلح في ڤرسايل قد استمدت سلطتها من مجلس الادارة المستمد سلطته من الشعب اللبناني رأساً .

لم يكن لبنان في وقت من الاوقات وبخاصة في عهد الدولة العثمانية مستقلاً استقلالاً تاماً ناجزاً ، بل كل ما هنالك انه كان حاصلاً على استقلال اداري داخلي ، وقد ظهر هذا الاستقلال بصورة جلية في عهد الامراء المعنيين من سنة ١٥١٥ الى سنة ١٦٩٧ ، وفي عهد الامراء الشهابيين من سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٨٤١ ، وفي عهد عمر باشا النمساوي وعهد بدعـة القائمقاميتين من سنة ١٨٤٢ الى سنة ١٨٦٠ . وبعد حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ تقلص ظل الحكومة العثمانية عن البلدان الشرقية ، وانقطعت الصلة الضئيلة التي كانت تربط لبنان بحكومة

١) ملخص عن مخطوط للسيد الياس طنوس الحويك .

استنبول، واصبح حراً في اختيار مصيره. ولما احتلت جيوش الحلفاء لبنان وسورية كان اول عمل اجرته حكومة الاحتلال في لبنان اعادة حكومته الى ما كانت عليه قبل استئثار المتصرفين الاتراك بالسلطة فيه، وفي ذلك هيئة مجلس الادارة التي حلتها السلطة العسكرية خلال الحرب، وكان الفرنسيون المختصون يعتبرون وظيفة المجلس الاداري شرعية، لانه ينوب عن البلاد التي انتخبته بملء حريتها.

قرار مجلس الادارة التاريخي بشأن استقلال لبنان

« من حيث ان جبل لبنان لم يزل منذ القديم وخصوصاً منذ الفتح الاسلامي في عهد السلطان سليم الاول، متمتعاً بحكومةٍ وطنيـة مستقلة، تشمل جبل لبنان بحدوده الجغرافية والاقتصادية وقد امتدت في عهد بعض امرائه كالامير فخر الدين الثاني المعني، الى حدود عكا وقيصرية، ومن حيث ان هـذا الاستقلال الاداري ما برح مسلماً بـه من قبل الجميع حتى من قبل حكومة الباب العالي نفسها، وبما انه في سنة ١٨٦١ عقب الحوادث المشؤومة التي دبرتها الحكومة التركية اقرت دول اوربا في مؤتمر بيروت استقلال لبنان ووضعت له شكلاً مخصوصاً تحت كفالتها، وبمـا ان المندوب العثماني في المؤتمر المذكور هو فؤاد باشا قد استفاد من منافسة الدول حينذاك لجعل حق لبنان في الاستقلال حقاً صورياً فقط، ففصل عنه من جهةٍ موانئ بيروت وصيدا وطرابلس وملحقاتها، ومن جهةٍ اخرى سهل البقاع وبعلبك وجبل الشيخ بما فيه حاصبيا وراشيا، مما اضطر اللبنانيين الى التشتت في اطراف المعمور، وبما ان لبنان الحالي لا يغل من الحبوب الا ما يقوم بحاجة اهلهِ لمدة شهرين فقط بحيث اذا سُدّت موانئهُ وسهوله المذكورة كان ذلك بمثابة القضاء عليه بالمجاعة، كما حدث في هذه الحرب مما قضى على نصف اهاليه بالموت جوعاً، وبما ان العمل الذي توختـه الدول سنة ١٨٦١ بقي ناقصاً، فان الذي قصدته الدول هو ان تضمن لجبل لبنان استقلاله الاداري والاقتصادي، واقعياً لا صورياً، ولذلك يجب اتخاذ الاسباب التي تمكنه من تحقيق الاستقلال المذكور تحقيقاً فعلياً، فالآن بمناسبة طرح أمـاني

الشعوب في مؤتمر الصلح العام ، قرر هذا المجلس توجيه كل من داود بك عمون احد اعضائه مندوباً اول ، ومحمود بك جنبلاط عضوه الآخر وكل من الاساتذة اميل اده وابرهيم بك ابو خاطر وتامر بك حماده ليعرضوا في المؤتمر المشار اليه المطاليب الآتية :

١ً — توسيع نطاق جبل لبنان الى ما كان معروفاً به من التخوم تاريخياً وجغرافياً ، وما تقتضيه منافعه الاقتصادية بحيث يكون بلاداً قادرة على القيام بحياة شعوبها ومنافعهم وثروتهم ، وبحكومة راقيةٍ منظمة .

٢ً — تأييد استقلال هذا البلد اللبناني بادارة شؤونـه القضائية والادارية بواسطة رجال من اهلهِ .

٣ً — يكون لهذه البلاد مجلس نيابي مؤلف على مبدأ التمثيل النسبي حفظاً لحقوق الاقلية ، وينتخب من الشعب ، ويكون لهذا المجلس حق التشريع ، ووضع القوانين الملائمة للبلاد ، وسائر ما للمجالس النيابية في البلدان الراقية .

٤ — مساعدة فرنسا للحصول على التمنيات المقدم ذكرها .

وفوض المجلس الى المندوبين المومأ اليهم عرض الطلبات المذكورة في المؤتمر المشار اليه ، وملاحقة تأييدها وتقريرها .

كتب في ٩ كانون الاول من سنة ١٩١٨ .

وعاد الوفد الى بعبدا مقر الحكومة اللبنانية الشتوي بعد بضعة اشهر ولم يعرف احد حقيقة العمل الذي قام به ، فانه لم يقدم الى مجلس الادارة تقريراً عن نتيجة مهمته ، وقال انه نشر خلاصة تقريره في جريدة لسان الحال ، ناسياً ان المرجع الرسمي لمثل ذلك المستند هو سجل مجلس الادارة لا اعمدة الجرائد .

الوفد اللبناني الثاني الى مؤتمر الصلح : بعد عودة الوفد الاول الى لبنان لم يرَ اللبنانيون شيئاً من انجاز المواعيـد التي عللوهم بها[1] وعندئذٍ فكر عقلاء الشعب اللبناني من جميع الطوائف في انه ليس في البلاد أعز من مقـام

---

١) فهم ان هذا الوفد لم ينل شيئاً لانه لم يكن مزوداً بتعليمات بطريرك الموارنة .

البطريرك الماروني واسمى منـه ، فاجتمعوا في بكركي عند البطريرك الياس الحويك وطلبوا منه ان يعضدهم في السعي لخدمة الوطن ، ونظموا الوكالات من جميع انحاء لبنان القديم ، والانحاء المطلوب ارجاعها اليه ، وعينوا غبطته مندوباً عاليًا من قبل لبنان واسموه البطريرك اللبناني ، ليسافر الى فرنسا ويطالب لدى مؤتمر الصلح بارجاع حقوقهم المهضومة اليهم ، وتأييد استقلال لبنان المطلق . لهذه الغاية استمر غبطة الحويك في مسعاه الى ان تسلم وثيقةً تضمن استقلال لبنان فعاد حاملًا بشرى الاستقلال واعلن المندوب السامي الفرنسي لبنـان الكبير مستقلًا وتم له ما كان يصبو اليه من استقلال وسيادة قوميّة .

تلك هي مساعي البطريرك الياس الحويك في سبيل استقلال لبنان ، وله ايضاً اليد الكبرى في تعزيز مقام الجاليات اللبنانية في مصر وافريقيا واميركا ، بما انشأه من وكالات بطريركية ورسالات عديدة في تلك الاصقاع ، وكثيراً ما كان يتعهد شؤون ابنائه فيها بالزائرين البطريركيين ، الذين عملوا على تنشيط رجال لبنان في المهجر ، وتحريضهم على مساعدة اخوتهم المقيمين في لبنان ، فأغدقوا الاموال عليهم في ايام الحرب الكونية الاولى ، وعاونوا في انشاء المشاريع العمرانية.

عرف الجميع البطريرك الحويك بوداعته وورعهِ وطهارة ذيله وصفاء سريرته ، ونقاوة سيرته ، فتألّف حوله الجميع على اختلاف مذاهبهم فسعى سعيه المشكور لوطنه وتوسيع نطاقه والذود عن حريته ، فاضحى ذلك الزعيم اللبناني الكبير منشىء مجد لبنان .

بعد جهاد طويل في خدمة الدين والوطن قضى قرير العين بما شاهده من ثمار جهاده. قضى وله من العمر تسعون عاماً ، وفي رئاسة الطائفة ثلاث وثلاثون سنة.

كانت وفاته يوم عيد الميلاد في سنة ١٩٣١ . دفن في كنيسة بكركي ثم نُقل بناءً على رجاء بنات جمعية العائلة المقدسة غرسة يمينه الى دير عبرين اول أديار هذه الجمعية ومقر الرئاسة العامة ، واودع جثمانه الطاهر ضريحًا فخماً يعلوه تمثال له عظيم ، وكلا الضريح والتمثال من وضع النحات ابن اخيه السيد يوسف الحويك.

انطون عريضة : ولد في ٢ آب سنة ١٨٦٣ في بلدة بشري. حصّل دروسه اولًا في مدرسة مار يوحنا مارون واتمها في مدرسة سان سولبيس في باريس. سيم كاهناً عام ١٨٨٩ واتخذه البطريرك يوحنا الحاج كاتباً لسره. انتخب مطراناً على طرابلس في اوائل حزيران سنة ١٩٠٨. اعاد بناء جانب من كرسيه في كرمسده وشاد في طرابلس كرسيًّا فخماً ورمّم او شاد ستين كنيسة.

في زمن الحرب الكونية الاولى واصل إطعام الجيـاع من بدء عام ١٩١٥ الى اواخر عام ١٩١٨.

تمّ انتخابه بطريركاً في ١٧ كانون الثاني من سنة ١٩٣٢. بنى جانباً من قصر الديمان حيث اقام كنيسة فخمة، زينها الفنـان صليبا الدويهي بلوحات رائعة. زرع عددًا كبيرًا من الاشجار المثمرة، احيا موات اراضٍ واسعة.

اشترى دارًا في مرسيليا وجعلهـا مقرًا لكاهنٍ يمثله ويقوم بخدمة الجالية والزائرين اللبنانيين.

شاد كنيسة ومدرسة للراهبات في قصبة اميون. واسّس في شكا شركة الترابة اللبنانية التي اصبحت من اهم المعامل في لبنان.

في عهده طبع كتاب الطقوس المارونية القديمة بما فيها من ترتيبات. وتسلم الآباء اليسوعيون ادارة المدرسة الاكليريكية المارونية في غزير وخصصوا لهـا ديرهم هناك، وفتحت مدرسة اكليريكية ثانية بادارة البطريرك في عين ورقة اولًا ثم نقلت الى مار عبدا هرهريا.

في ٧ ت ١ سنة ١٩٤٤ انتقل الى الراحة الابدية في ١٩ ايار ١٩٥٥ ودفن في كنيسة الديمان وقد ترك وصية تنصّ على توزيع أمواله الوافرة على البطريركية للمشاريع الخيرية وإعالة الكهنة خدمة الرعايا.

الميثاق الوطني : كان فريق من اللبنانيين حتى سنة ١٩٤٣ يأبون الاعتراف بلبنان ويطلبون حيناً بعد آخر الالتحاق بسورية. ففي هذه السنة عقد مؤتمر حضره اصحاب الرأي من الطوائف المسيحية والاسلامية وفي طليعتهم الرئيس السابق

الشيخ بشاره الخوري والمغفور له رياض الصلح وتمّ فيه الاتفاق بالاجماع على ان يعترف المسلمون بلبنان ضمن حدوده الحاضرة وطناً لهم ويعدلوا عن طلب الالتحاق بأية دولة في الجوار مقابل تخلّي المسيحيين عن التمسك بأيـة حماية غربية وموافقتهم عـلى ان يكون لبنان وطناً لجميع أبنائه على السواء. وان يتجه في سياسته اتجاهاً قومياً استقلالياً ، على ان يكون ذا وجه عربي أي ان يتعاون مع الدول العربية الى أبعد حدود التعاون ، مـع حفاظه على سيادته وحريته التامة في تصريف شؤونه . وهذا ما أسموه « الميثاق الوطني » .

وقد امتدح كثيرون من رجالاتنا هذا الميثاق ورأت فيه بكركي دعامة قوية لبناء الوطن .

بروتوكول الاسكندرية : في ٧ تشرين الاول سنة ١٩٤٤ وُقِع ونشر بروتوكول الاسكندرية إعداداً لتأسيس الجامعة العربية فأثار هذا الحدث ضجّة اهتزّت لها البلاد ، واهتمّ لها البطريرك ايَّ اهتمام ، لان هناك مسألـة وجود لبنان أو عدم وجوده دولة حرّة مستقلّة ذات سيادة في الداخل والخارج .

وقد درس بعض علماء القانون هذا البروتوكول تلبية لرغبة البطريرك فوجدوا ان نصّه وروحه عبارة عن تنظيم « كونفدراسيون » وهو خطوة أولى نحو الوحدة التامة اقتصادياً وسياسياً فيضيع بذلك حق لبنان في الاستقلال وعليه ألحّ غبطته بطلب تعديل هذا البروتوكول وعملاً بالحاحه وحفاظاً عـلى استقلال لبنان استُبْدل بميثاق القاهرة الذي أحلّ كلمة « تعاون » محلَّ التنظيم الذي قلنا انه كان بمعنى « كونفدراسيون » .

مؤتمر بكركي : لم يفتُرْ غبطة البطريرك عريضة عن الاهتمام بشؤون جميع اللبنانيين من مختلف الطوائف وقـد عقد مؤتمرًا في بكركي حضره النواب الموارنة وبحثوا فيه مع أصحاب السيادة الاساقفة الشؤون السياسية المكانية ، ثم عقد مؤتمر آخر دُعي اليه رؤساء الطوائف المسيحية من كاثوليكية وغير

كاثوليكية ودارت ابحاثه على الاحداث التي جرت بعد التوتر الذي حصل بين الحكومتين اللبنانية والفرنسية .

ففي مؤتمر بكركي الاول في نيسان سنة ١٩٤٥ دارت المباحثات حول قانون الاحوال الشخصية للطوائف المسيحية ، ووجوب ارجاع سلطات المحاكم الدينية الى حالتها الاولى اسوةً ببقية الطوائف غير المسيحية ، وحول تعيين معلمين للدين في المدارس الرسمية ، والاتصال بالمراجع الحكومية والنواب لتعديل الانظمة وفيها انظمة الانتخابات ، واحصاء المغتربين المحافظين على لبنانيتهم ، وتوزيع الوظائف على الطوائف بالنسبة لتنال كل منها حقها في التمثيل دون تفريط بحقوق الطوائف الاخرى ، واحيل الى المجلس قانون الاحوال الشخصية فأقرَّه في ٢٢ نيسان سنة ١٩٥١ .

وفي مؤتمر بكركي الثاني بسط غبطته للمؤتمرين الغاية الداعية لعقده ، وهي تبادل الآراء وتمحيصها وتوجيهها الى الغرض المقصود وهو « تدعيم استقلال لبنان »؛ فانه رأى الا يستقل بالرأي في هذه الامور الخطيرة ، فدعا الرؤساء ايشاركوه في درسها من جميع مناحيها بعد ان استطلع رأي جمهرة من المفكرين العلمانيين .

وبعد المداولات والمباحثات اتخذ السادة المجتمعون البيان التالي :

« ان الغرض من اجتماعنا في هذا الصرح الماروني في ٢٩ ايار من سنة ١٩٤٥ تحت رئاسة مار انطون بطرس عريضة بطريرك انطاكية وسائر المشرق الكلي الطوبى ، انما كان للبحث والمفاوضة في مسائل عديدة يفرضها علينا واجبنا الرعائي والوطني ، ونتوخى من تحقيقها مصلحة وطننا اللبناني » .

وقرّ الرأي على النقاط الآتية ، وهي :

« تأييد استقلال لبنان وسيادته التامة .

« التعاون مع الدول المجاورة .

« حفظ العلائق الودية مع الدول الحليفة التي اعترفت باستقلال لبنان وسيادته.

« اخيرًا نرجو دولة فرنسا وباقي الدول الحليفة تأييد استقلال لبنان، وتوطيد الالفة والسلام ما بين جميع الطوائف والعناصر اللبنانية في كل الامور العائدة

الى خير لبنان وازدهاره ورجونا من غبطة السيد البطريرك مار انطون بطرس عريضة الكلي الطوبى ان يتابع اهتمامه لتحقيق هذه الاماني » .

وضم البطريرك صوتـه الى صوت المجتمعين في قصره لدعوة كل المواطنين الى الالفة والمحبة والتسامح وللعمل المشترك لتدعيم استقلال لبنان ، والمحافظة على كيانه مضموناً من كل النواحي بمساعدة الدول الحليفة .

وقد وقّع السادة المجتمعون هذا المحضر .

البطريرك عريضة في العهد الاستقلالي

لما فُكّ الدستور من عقاله في عام ١٩٤٣ ، بعد ان بقي معطّلاً منذ اوائل حرب ١٩٣٩ ، جرت انتخابات ١٩٤٣ التي أسفرت عن قيام برلمان من ٥٥ عضواً . وقد انتخب الشيخ بشارة الخوري ، رئيس الكتلة الدستورية ، رئيساً للجمهورية اللبنانيـة فتسلّم مقدرات البلاد وكلّف رياض بك الصلح تأليف الوزارة التي نصّ بيانها على البندين الآتيين :

البند الاول : تعديل الدستور وإزالة النصّ الذي يعطي ممثل فرنسة حق تعطيل الحياة البرلمانية وحصر المسؤوليات في الخارج بالمفوضيّات اللبنانية .

البند الثاني : عدم القبول بمركز ممتاز لاية دولة أجنبيـة واشتراك لبنان في مؤتمر سان فرنسيسكو طليقاً من كل التزام اجنبي .

ولم تمض فترة وجيزة إلّا وكان لبنان قد تسلّم كامل المصالح والصلاحيات التي مارسها لحسابه طوال ربع قرن المنتدبون الفرنسيون .

وحين ألقيت مقاليد الرئاسة الاولى الى الرئيس الحـالي الاستاذ كميل نمر شمعون انصرف الى المهمة الملقاة على عاتقه بكل غيرة وامانة ، على الرغم مما يعترضه من صعاب ، وقد تمكن من تحقيق الكثير ممـا كان يرجوه اللبنانيون على يده لوطنهم في جميع المرافق والحقول .

ومنذ فجر العهد الاستقلالي كانت بكركي تشدّ ازر الحكم الوطني وتمدّه

بكل عون يعود بالخير على الجميع . وقد كان لها شأنها وكلمتها المسموعة في القضايا الحيوية الكبرى .

لكل من الرئيسين مدّ البطريرك عريضة يداً مخلصة من أجل تحقيق أماني الشعب المشروعـة فاستفاد العهدان من تأييده وأتى التعاون بين غبطته وكل من صاحبي الفخامة بثمار طيبة . ذلك ان البطريرك عريضة لم يكن يبغي من دنياه سوى خدمة الشعب ولبنان حتى انه في ساعاتـه الاخيرة أوصى الرئيس شمعون بأن يحافظ دائماً على استقلال الوطن وكيانه .

البطريرك بولس المعوشي : ولد في اول نيسان سنة ١٨٩٤ في جزين مدينة الشلال ، من ابوين تقيين فاضلين واسرة كريمـة اشتهر رجالها بالوطنية والعلم . ابوه اسعد شديد المعوشي . امه مدول ضاهر المعوشي .

تخرج من معهد الاخوة المريميين في دير القمر ومن مدرسة الحكمة . ثم ارسله المثلث الرحمة المطران بولس بصبوص الى رومية فدخل مدرسة البروباغاندا ثم انتقل الى الجامعة الغريغورية حيث اكمل دراسة العلوم والفلسفة واللاهوت . ودرس اللغات القديمة اي اللاتينية واليونانيـة والسريانية ، كما اتقن اللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والانكليزية .

سيم كاهناً في رومية بوضع يد المطران نعمةالله ابي كرم سنة ١٩١٧ . وبعد الحرب العالمية الاولى عاد الى لبنان كاهناً وتولى سنة ١٩١٩ وظيفة كاتم سر لمطران صيدا .

ولما اعتزم المثلث الرحمة المطران شكرالله خوري رئيس اساقفة صور السفر الى اميركا لزيارة الموارنة المغتربين ، بناء على تكليف المثلث الرحمة البطريرك الياس الحويك ، اصطحب الخوري بولس المعوشي. فقاما بطواف طويل في الولايات المتحدة الاميركية والمكسيك مدة سنتين . ولما عاد المطران شكرالله الى لبنان بقي الخوري بولس في اميركا حيث خدم رعايا الموارنة في مدينة نيوبدفورد

ومنها انتقل الى لوس انجلوس كاليفورنيا وظل فيها الى يوم انتخابه سنة ١٩٣٤ مطراناً على ابرشية صور في لبنان خلفاً للمطران شكرالله خوري .

وابرشية صور التي سُلّمت الى عهدته هي ابرشية واسعة ولكنها فقيرة فكان يجاهد لتأمين نفقات الكرسي وحياة الكهنة كما اعتنى بزراعة اراضي الكرسي في علما الشعب والبطيشية وعين ابل واقصى الجنوب ليضمن تأمين تلك النفقات؛ وقد اعترضته متاعب مادية عرف ان يتغلب عليها . ووجه عناية خاصة الى رعاياه في حيفا ويافا والناصرة والجليل . وفي سنة ١٩٤٨ عُيّن رئيساً للجنة الرسولية .

وفي ٢٩ ايار ١٩٥٥ وصل الى بكركي المطران سلفيو اوددي القاصد الرسولي في القدس موفداً من قبل قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر. واجتمع الى اساقفة الطائفة المارونية ، بعد ان طلبوا رسمياً للاجتماع في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم المذكور لسماع براءة من قداسة الحبر الاعظم. فتلا عليهم الموفد البابوي تلك البراءة الرسولية باللغة اللاتينية موقعة من صاحب القداسة نفسه ، كما تلا ترجمتها الرسمية باللغة الفرنسية . وهي تعلن تسمية صاحب السيادة المطران بولس المعوشي مطران صور بطريركاً للطائفة المارونية على كرسي انطاكية وسائر المشرق ، خلفاً للمثلث الرحمة البطريرك انطون عريضة. فتلقى غبطة البطريرك الجديد وجميع الاساقفة هذا التدبير البابوي بمنتهى الخضوع والاحترام .

وعلى الاثر جرت حفلة في كنيسة الصرح البطريركي تسلم فيها البطريرك الجديد مهام البطريركية بحضور الاساقفة والجمهور الذي كان محتشداً ، فجلس موفد قداسة الحبر الاعظم في المقام الاول قبالة العرش البطريركي ، ثم تقدم غبطة البطريرك واتشح بالملابس الحبرية وجلس على عرشه ، وعندها تقدم جميع الاساقفة ولثموا يديه مقدمين لغبطته الطاعة والاحترام .

ثم صعد البطريرك الى المذبح والقى كلمة مبدياً فيها استعداده للقيام بكل اخلاص وتفانٍ بمهام البطريركية المارونية وتعهد بانه سيتم هذه الواجبات بكل دقة وانه لن يدع شيئاً مما قام به اسلافه في خدمة الدين والوطن الا ويقوم به

على اتم وجه . عندئذٍ قرعت اجراس بكركي فتقاطرت الوفود لتقديم التهاني ولاعلان خضوعها وولائها للبطريرك الجديد .

وتعيّن يوم الاحد الموافق الخامس من شهر حزيران القادم موعداً للاحتفال بتنصيب غبطته .

نص الرقيم البابوي : « الى اخوتنا الاحباء المحترمين. بولس المعوشي مطران صور . بطرس ديب مطران القاهرة . اغناطيوس زيادة مطران بيروت .

« البابا بيوس الثاني عشر .

« اخوتنا المحترمين .

« السلام والبركة الرسولية .

« لقد اصابنا كما اصاب سائر ابنائنا الموارنة الاعزاء الم عميق لدى تبلغنا الميتة الصالحة المأسوف عليه كثيراً البطريرك انطون عريضة الذي بعد ان أُصيب بمرض شديد ، وكان قد بلغ من العمر عتياً ، انهى حياته على هذه الارض في ١٩ من هذا الشهر وفي عيد صعود سيدنا يسوع المسيح .

« فبصلواتنا الى الله نطلب لنفسه المكافأة بالنور والراحة الابديين. ويسرنا ان نذكر انه بعد ان قضى مهمته مدة اكثر من عشرين سنة في توليه المهام البطريركية غادرها بعد ان حرضكم في وصية شريفة ، ان تحافظوا على التقاليد الراسخة في نفوسكم ، وهي التعلق بالكنيسة الكاثوليكية والسدة البطرسية المقدسة .

« وفي هذه المناسبة المؤلمة نحن الذين نحفظ للموارنة عواطف تقدير عميق نؤكد اننا نحتفظ لهم في حاجاتهم بعناية مخلصة ولا غاية لنا سوى خلاص النفوس حسبما يجدر بالذي هو على الارض نائب الفادي الالهي وان يكن غير مستحق ذلك .

« ما من احد يعرف تاريخ الكنائس الشرقية يستطيع ان يتجاهل او يحقر الادلة الكثيرة التي بها اعرب الاحبار الرومانيون عن عطفهم الخاص

البطريرك انطون عريضة

(بريشة فيليب موراني . بكركي)

البطريرك بولس المعوشي

(تصوير مانوك)

على الطائفة المارونية الشهيرة . ويعرف الجميع ان هذه الطائفة — وليكن ذلك للثناء العظيم عليكم — قد تفانت في الاجابة على المحبة الابوية بالادلة الواضحة على التفاني والتقوى البنوية .

« ومنذ وقت قريب ايضاً : ان عناية السدة الرسولية وتعلقكم البنوي قد اتضحا مجدداً عندنا في غيرتنا الوقادة لاجل مصلحة كنيستكم التي لاسباب عدة كانت تعاني صعوبات خاصة .

ورغبة في تقدمكم ايها الاخوة المحترمون لقد اخترنا من بين صفوفكم ثلاثة احبار وارسلناهم اليكم مزودين بالسلطات الخاصة ليكونوا الى جانب البطريرك ابناءنا الروحيين والزمنيين .

« ان هؤلاء قاموا قدر استطاعتهم بناء على الظروف فتمموا مهامهم الثقيلة على اكمل وجه .

« لقد جاهدوا بثبات وبدون انقطاع حسبما كتبنا في حينه الى المأسوف عليه البطريرك ، ليكونوا للرعاة وللمؤمنين على حدٍ سواء مستشارين حكماء وفي الظروف الحاضرة قادةً امناء .

« واننا نعتبر ان المهمة التي كنا قد عهدنا بها اليكم ايها المفوضون الاجلاء قد انتهت . واذ نوجه من صميم القلب الى كل منكم شكرنا ، غير ناسين بالذكر المأسوف عليه كثيراً المطران عبدالله الخوري وقد توفي فيما كان معتمدنا ، فاننا نرسم بالرقيم الحاضر وضع حد للجنة الرسولية التي كنا قد انشأناها برسالتينا الرسوليتين المؤرختين في ٢٨ ايار ١٩٤٨ .

« وكما تعلمون ايها الاخوة المحترمون ان حق تولية البطريركية في الحالة الحاضرة نُقل استناداً الى التدبير الاستثنائي المشار اليه آنفاً بكليته الى الكرسي الرسولي وفقاً لمقتضيات الشرائع الكنسية والعرف الدائم العام ، وفضلاً عن ذلك فان تاريخكم نفسه يقدم لنا مثلاً شهيراً عن هذا الاجراء . ففي الواقع ان سلفنا المطوب الذكر بنديكتوس الرابع عشر الذي ثبّت بموجب سلطانه الرسولي المجمع اللبناني ، عين هو نفسه البطريرك سمعان عواد مطران دمشق الماروني .

« وتلبية لنداء غيرتنا ومهمة رسالتنا العليا نتجنب بقاء الكنيسة البطريركية المارونية التي تحوق بها اخطار جمة محرومة مدة اطول من عناية راعيها، ونتوجه اليها مجدداً بعنايتنا ونرغب في تعيين بطريرك يجلس على العرش البطريركي ان نتمم ونكمل الاجرآت التي اتخذناها منذ امد غير بعيد لاجل خير المؤمنين .

« وبعد ان وزنا كمالًا وتماماً الشهادات الاجماعية المؤيدة التي توصينا باختيار اخينا الجليل بولس المعوشي مطران صور ورئيس اللجنة الرسولية وبعد ان استشرنا المجمع المقدس للكنائس الشرقية وبنا لنا من سلطان رسولي مطلق فاننا ننقله من كرسي صور الى الكرسي البطريركي الانطاكي للموارنة ونختاره ونقيمه بطريركاً وراعياً لهذه الكنيسة بتسليمه تسليماً كاملًا العناية بهذه الكنيسة الانطاكية وحكمها وادارتها في الشؤون الروحية كما في الشؤون الزمنية .

« واننا نعلم ونأمر اخانا الجليل بولس المعوشي عند تسلمه هذه الرسائل الرسولية ان يتسلم دون اي تأخير العرش البطريركي، ويتمتع بكامل حقوقه وصلاحياته وسلطاته والتشريع والترقيات والامتيازات التي تمتع بها سلفاؤه .

« ونزيد من جهة اخرى ان يقوم البطريرك الجديد قبل ان يتسلم الادارة والسلطة على الكنيسة البطريركية بتلاوة فعل الايمان الكاثوليكي ويقسم اليمين العادية وفقاً للنصوص الملحقة بهذا الرقيم بحضور مجمع الاساقفة وان يعنى بارسال هذه الوثائق بعد توقيعها قانونياً الى المجمع المقدس للكنيسة الشرقية .

« اما فيما يتعلق بدرع الرئاسة المقدس علامة الصلاحيات الحبرية التامة الذي يرسل عن ضريح القديس بطرس فسنمنحه لاخينا المحترم بولس بعد ان يقوم بطلبه بحسب العادة .

« لسنا بحاجة ايها الاخوة المحترمون ان نؤكد لكم اننا لا نقصد بهذه الطريقة الاستثنائية التي اتخذناها لتسمية السيد البطريرك ان ندخل بعض التعديلات على حقوقكم المعترف بها من قبل الكرسي الرسولي لانتخاب البطريرك .

« ونحن اذ نضرع الى المسيح الملك والراعي ان يتعطف ويمنح هذه

الكنيسة حياة مزدهرة خصبة ونمواً بالفضائل في عهد ولاية البطريرك الجديد بفضل نشاطه وحكمته نحرضكم ونأمركم بان تؤدوا فوراً الى مقام البطريرك الطاعة والاحترام الواجبين له .

« ونطلب الى الاكليروس العلماني والقانوني والى كل الشعب الماروني ونأمرهم جميعاً بان يعتبروا المنتخب الجديد كراعٍ وابٍ لجميعهم وان يؤدوا له امارات الخضوع والاخلاص التي تؤول الى شرف ومجد الكنيسة المارونية الموقرة. ولا يخامرنا شك بانكم ستتجندون بنشاط كما فعلتم الى اليوم للعمل في سبيل خير الدين والوطن، ونمنح بكل محبة كلًا منكم ايها الاخوة المحترمون وكلًا من الاكليروس والمؤمنين الموكلين الى عنايتكم البركة الرسولية عربوناً للنعم الالهية .

« أعطي في رومية بالقرب من كنيسة القديس بطرس في ٢٥ ايار سنة ١٩٥٥ وهي السنة السابعة عشرة لبابويتنا .

بيوس الثاني عشر

اذاعة البطريرك الجديد : وما ان باشر البطريرك الجديد الكلي الغبطة مزاولة مهام منصبه السامي حتى وجه الى اللبنانيين الكلمة التالية :

« سنتابع رسالة بكركي في خدمة الله والوطن .

« نرسل صوتنا ليسمعه اللبنانيون في ارض الوطن وفي كل ارض من مهاجرهم ، ليجد جميع اللبنانيين في هذا الصوت على مختلف طوائفهم كلمة لبنان الصافية في حب الله ، وحب الرأي المجموع على خدمة الوطن العامة ، وعلى حفظ تقاليدنا وعاداتنا الكريمة ، واقتباس ما ينبغي لمجتمعنا وعصرنا من كل جديد كريم ، والتعاضد مع اخواننا وجيراننا في الاقطار الشقيقة بما يعود بالنفع على السلم العام ، واستقرار الامور وهناء العيش . فيا ايها اللبنانيون من مقيمين ومغتربين ومن موارنة ومن اخوانهم الآخرين في الوطنية ، ان رسالة بكركي على مدى التاريخ هي خدمة الله والخير والوطن وسأجهد بدوري في تأدية الرسالة تامةً كاملةً ان شاء الله بمناصرتكم » .

وهذه الرسالة ، رسالة بكركي ، تهدف الى توحيد القلوب في خدمة الوطن المشترك وقد قال غبطته في احدى خطبه ، رامياً الى هذه الغاية النبيلة :

« اني لا انظر في الرجال الا الى اخلاقهم ومزاياهم وأعمالهم واحترم من يحترم تعاليم دينه . واذا كنت اتمنى شيئاً فهو ان يعينني الله فاخدم واكون صادقاً في الخدمة بما يعود بالخير والالفة وتقارب القلوب بين جميع الطوائف . ونحن دولة صغيرة عدد سكانها مليون ونيف ، يتوجّب علينا ان نضاعف الاجتهاد ونتعاون فننهض بهذا البلد الصغير العزيز . ولا مجال هنا للغرور والكبرياء . وكل ما ارجوه ان تتبدل بعض العقليات التي لا يزال يعشش فيها الجهل والتعصب الذميم ... »

ايّد الله غبطته وامدّ بايّامه .

الختام

قلنا ان بطريركنا الاول هو يوحنا مارون ، وقد استندنا في ذلك الى ما جاء عنه في كتاب الهدى المترجم عن السريانية الى العربية سنة ١٠٥٨ ، وكانت العربية يومئذٍ قد اصبحت لدى الموارنة لغة عامة بعد ان هجروا لغتهم الاولى اي السريانية .

ولما كان من المتعارف ان احدى اللغات لا تصير مهملة اي غير متداولة الا بمرور نحو اربعة اجيال على تعاطي لغة سواها .

وبما اننا بالرجوع اربعة اجيال الى الوراء نصل الى اواخر القرن التاسع الذي وضع فيه كتاب الهدى ويمكن ان تكون فيه الاخبار المتسلسلة ابأ عن جد صادقة لعدم تقادم العهد عليها ، استنتجنا ان التقاليد المثبتة كون بطريركنا الاول يدعى يوحنا مارون انما هي متواصلة ابتداء من هذا البطريرك الذي انتخب بطريركاً على انطاكية بشهادة التلمحري في سنة ٧٠٢ ، حينما كان الكرسي البطريركي الانطاكي شاغرًا ، منذ سنين عديدة ، بسبب طوارئ الحدثان .

لقد بدا لنا من الوقائع التاريخية ان البطريركية الانطاكية ترملت منذ استيلاء العرب على سورية ولما تم انتخاب بطريرك لها اصبحت تشكّل حلقة جديدة متممة لسلسلة البطاركة الانطاكيين الكاثوليكيين بواسطة رهبان مار مارون رعاة الشعب يومئذٍ واسياد الموقف .

وليس لدينا من معلومات عن هذا الحادث الخطير الا شهادة التلمحري القائل : « اقام رهبان مار مارون بطريركاً من ديرهم » .

وبعد مضي ٤٥ سنة على هذا العمل العظيم اقام مروان بطريركاً اسمه ابن قنبرة وسلحه بمرسوم ودعمه بجيش ذهب به الى دير مار مارون ليجبر البطريرك الكاثوليكي على الاعتراف بولايته لكنه فشل في محاولته هذه فقال التلمحري: « ظلَّ رهبان مار مارون يقيمون بطريركاً من ديرهم » .

ولقد تمَّ هـذا الانتخاب تخلصاً من الفوضى ، ولم يبدُ للكرسي الرسولي ريبٌ في شرعيته والا لكان رشقه بالحرم على عادته في مثل هذا الامر .

اما ابن قنبرة فلم يوهن الفشل عزيمته بل ازداد نشاطاً في اضطهاد الموارنة وحمل مروان ، كما قال التلمحري ، على ان يثقل كاهلهم بالضرائب فثبت بنو مارون في جهادهم برعاية البطريرك الانطاكي الشرعي ، مقتنعين بانهم على وفاق مع مسيحيي الغرب ، حاصلين على اسباب الوقاية من تعدّي البيزنطيين على حقوق رومية . وهذا الروح الكاثوليكي قد تأصل فيهم منذ البدء ، ومكّن ارتباطهم باللاتين وتعلّقهم بالكنيسة الرومانية .

وقد اتّضح لنا ايضاً ان بطاركة الموارنة دافعوا عن الدين والوطن في كل الميادين الوطنية والدبلوماسية .

وانه من عهد البطريرك القديس يوحنا مارون كان بطريرك لبنـان يقود المردة — الموارنة ، تارةً لرد حملات البيزنطيين الذين حادوا عن جادة الايمان القويم ، وطوراً لدحر غزوات العرب وقد توصل في اكثر الاحيان الى التوفيق بين مصالح الفريقين بحسن سياسته ولباقة ديبلوماسيته .

وفي عهد البطريرك يوسف الجرجسي حوالي سنة ١١٠٠ كان الموارنة حلفاء الصليبيين احراراً في ادارة شؤونهم الداخلية الروحية والزمنية برئاسة بطريركهم ، وقد احترم الصليبيون هذا البطريرك وحافظوا على امتيازاته لانهم رأوا فيه رئيساً دينياً ومدنياً وسياسياً لامته وممثلاً حقيقياً لوحدتها العرقية .

وفي عهد البطريرك يوحنا اللحفدي حوالي سنة ١١٥١ رأينـا كيف كان الموارنة واسيادهم الاقطاعيون يلتفون حول بطريركهم ويتلقون الاوامر منـه

بوصفه قائداً للشعب وصاحب المشورة والآمر وذا الكلمة النافذة الذي لا تعلو سيادته سيادة ، شأنه شأن اساقفة غالية حماة الدين والوطن .

وقد ذكرنا في كلامنا عن البطريركين ارميا العمشيتي ودانيال الشاماتي ان الاول شخص في سنة ١٢١٣ الى رومية حيث مكث ثلاث سنوات لاعداد خطط الدفاع عن الايمان وعن لبنان تحت حماية الحبر الاعظم ، وان الثاني قد جمع لديه في دير مار يوحنا مارون كفرحي زعماء لبنان ووحّد كلمتهم لاجل توطيد الامن في البلاد . وانه عندما استعرت نيران الحرب بين نواب الشام المصريين تمكن بمرونة سياسته وحنكة ديبلوماسيته من المحافظة على حقوق لبنان .

كما نوّهنا بأن ملك فرنسة لويس التاسع قد كتب في سنة ١٢٤٥ الى البطريرك شمعون قائلاً : « سررنا غاية السرور عندما اتى الينا من قبلكم ولدكم الامير سمعان على رأس خمسة وعشرين الفاً لنجدة عساكرنا ». فيستدل من قوله : « اتانا من قبلكم » ان هذا الملك كان يعتبر البطريرك مدبراً للحملة وان الامير سمعان هو المنفذ لارادة البطريرك رئيسه .

ومن لا يعلم انه عندما زحفت جيوش المماليك على بلاد الجبة في سنة ١٢٨٢ واخذت الحدث وحصرون وبقوفا اضطر البطريرك دانيال الحدشيتي الى ان يقود بنفسه رجال الدفاع فاوقف الغزاة امام اهدن اربعين يوماً ولم يتمكن المماليك من الاستيلاء عليها الا بعد ان امسكوا البطريرك بحيلة فقال ابن الحريري : « كان امساك البطريرك فتحاً عظيماً اعظم من افتتاح الحصون والقلاع ».

ويوم انتصر مقدمو لبنان على عساكر المماليك في سنة ١٣٠٢ اجتمعوا عند البطريرك شمعون طالبين منه ان يفض خلافاً نشأ بينهم كما كانوا قد اجتمعوا عنده قبل المعركة لاجل التسلح بآرائه ونصائحه .

وفي عهد البطريرك داود حوالي سنة ١٣٩٠ كان الموارنة يخضعون لارادة بطريركهم وينظم مقدموهم في شمالي لبنان الامور وفقاً لاشارته وتوجيهه .

ولما قهر السلطان سليم دولة المماليك في سنة ١٥١٦ وضمّها الى مملكته ،

دخل في المفاوضة مع سيد لبنان البطريرك شمعون فأقنعه غبطته بأن لبنان يتمتع منذ القديم بالاستقلال الداخلي وعندئذ ترك للبلاد الحرية واعفى بطريركها من الفرمان السلطاني رمز العبودية . وبناء على التماس البطريرك موسى العكاري اصدر السلطان سليمان امرًا همايونيًا يوجب المحافظة بنوع خاص على حقوق الموارنة ، وبفضل حكمة هذا البطريرك وحسن سياسته اقام الدروز والموارنة على صفاء ومودة ، وعقدوا تحالفاً مكّنهم من الوقوف في وجه باشاوات الباب العالي ، فقصروا ولاياتهم على المدن الداخلية . وعلى اثر هذا التحالف نزح كثيرون من الموارنـة الى الشوف وعاشوا الى جانب اخوانهم الدروز بامن وطمأنينة واحبوا الزراعة في تلك النواحي .

وان البطريرك موسى العكاري كتب الى شارلكان يدعوه الى مساعدته لرفع نير الاتراك عن لبنان ووعده بان يقدم له خمسين الفاً من الرماة الماهرين .

وعندما تفرقت عساكر السلطان في البلدان من حلب الى بلاد الشوف بذل البطريرك يوسف الرزي جهده لدى العاهل العثماني حتى خفف الضغط عن الشعب .

وعرفنا ما كان من اتفاق الامير فخر الدين مع البطريرك يوحنا مخلوف على ارسال المطران جرجس عميره الذي ارتقى بعدئذٍ الى السدة البطريركية سفيرًا للمفاوضة مع البابا، ومع امير توسكانا وملك فرنسة، والسعي لديهم لعقد محالفة مع امير لبنان ومساعدته على نيل الاستقلال التام لبلاده .

وانه لما تولى الامير ملحم امارة لبنانٍ ، ولم يشأ العاهل العثماني ان يعترف به ، نظم البطريرك جرجس عميره تقريرًا رفعه الى الحبر الاعظم ملتمساً من قداسته ان يتوسط لدى ملك فرنسا كي يقنع حليفه العثماني بان يعترف بالامير ملحم خلفاً لعمه الامير فخر الدين فنجحت الوساطة .

وبناء على توسط البطريرك يوحنا الصفراوي قلّد ملك فرنسة قنصلية بيروت الشيخ ابا نوفل الخازن. ولما كان البطريرك جرجس السبعلي يجيد التكلم باللغة التركية ولا يحتاج الى ترجمان كان يراجع الباب العالي رأساً ويطلب رفع الحيف الواقع على الشعب . كما تدخل البطريرك اسطفانوس الدويهي لدى ملك فرنسة

ليطلب من حليفه العاهل العثماني ان ينصف اللبنانيين المقيمين في جبة بشري . وعندما أوعز اليه بطلب الفرمان السلطاني اعتصم بامتيازات البطريركية المارونية وبحماية فرنسة تخلصاً من هذه العبودية .

واستجابة لطلب البطريرك يوسف اسطفان قلّد ملك فرنسة قنصلية بيروت الشيخ غندور بن سعد الخوري . وليس من يجهل ما لهذا البطريرك من الفضل على لبنان بانشائه معهد عين ورقة أم المدارس في البلاد التي قامت بأهم دور انساني في الشرق وكانت فيه اداةً للرقي والحضارة .

ومن كان غير البطريرك يوسف التيان يقف في وجه امير البلاد ويهدده بالحرم ان لم يعدل عن رفع قرش الميري الى ستة قروش؟ومن كان غير البطريرك يأمر الحكام بان يرفعوا الظلم عن الرعية ؟ ألم يبادر هذا البطريرك الى ارسال مؤن وذخائر ومتطوعين الى القائد الفرنسي بونابرت المنتظر منه خلاصاً للوطن بينما كان امير لبنان متلكئاً عن مساعدته ؟ اما كان التيان اول من جمع زعماء البلاد في مؤتمر للنظر في أمر تسعير الحاجات .

وماذا نقول عن البطريرك يوسف حبيش الذي ساهم في رفع نير محمد علي عن لبنان ، وقد ابدى كل دراية وحكمة في تخفيف ويلات حوادث سنتي ١٨٤١ و ١٨٤٢ . ولما اهدى اليه السلطان العثماني الوسام المرصع لم يزين به صدره لئلا يحسب ذلك اعترافاً منه بالتبعة العثمانية . وعندما اراد الباب العالي ضم لبنان الى ولايات الدولة وعين له حاكماً عثمانياً يدعى عمر باشا ، اخذ هذا الحاكم يحاول استرضاء البطريرك ويكثر له من الوعود لكي يقبل به حاكماً على لبنان . فاجابه قائلًا : « انت من الاشخاص الاكفاء لتولي الحكم ، انما عيبك الوحيد هو انك اجنبي ونحن لا نقبل حاكماً أجنبياً » .

وفي ثورة الفلاحين على الخوازنة اقترح البطريرك بولس مسعد انتخاب شيخ يتولى الحكم . فرضي الفلاحون بهذا الاقتراح ، ولو قبل المشايخ لكانت هدأت الثورة وحقنت الدماء .

ولما دخل خورشيد باشا قائد الفيلق الهمايوني بعسكره الى لبنان وقف البطريرك بوجهه محتجاً على دخول العسكر النظامي الى ابنان بدون انهاء مجلسه ، الامر الذي يعتبر خرقاً لنظام لبنان فاضطر القائد بعد هذا الاحتجاج الى ان يطلب رأي ديوان القائمقامية ويتقيد به .

وفي مقابلته للسلطان عبد العزيز طلب اعفاء مسلمي لبنان من الخدمة العسكرية ، اسوةً باخوتهم اللبنانيين المسيحيين ، فاستجيب الطلب واصبح البطريرك الماروني ملجأً لكل الطوائف المسيحية وغير المسيحية .

وقد رأينا ما كان جواب البطريرك يوحنا الحاج على تبلّغه وجوب طلب الفرمان السلطاني والّا فلا يعترف به السلطان بطريركاً وقد أجابه قائلاً : « ان حقوقنا سابقة لوجود سلاطين بني عثمان . ومعترف بها من قديم الاجيال . فضلاً عن اننا في البلاد ابناء لا غرباء والابناء معروفة حقوقهم لا حاجة لهم الى الاعتراف بها » .

وفور انتهاء الحرب العالمية الاولى اجتمع اللبنانيون في بكركي مع زعمائهم وعلى اختلاف طوائفهم وطلبوا من البطريرك الياس الحويك ان يعضدهم في السعي لخدمة الوطن ، ويطالب مؤتمر الصلح بارجاع حقوقهم المهضومة وتأييد استقلال لبنان المطلق فسافر غبطته لهذه الغاية واستمر في مسعاه الى ان تسلم وثيقة تضمن استقلال لبنان .

ويوم انتخاب البطريرك انطون عريضة وقف رئيس الجمهورية الاستاذ دباس وخطب قائلاً : « عند الشدائد نستوحي من السدّة البطريركية التوجيهات للاعمال الخطيرة » .

ولما نُشر بروتوكول الاسكندرية إعداداً لتأسيس الجامعة العربية ، درس البطريرك عريضة هذا البروتوكول فوجد نصه وروحه عبارة عن تنظيم « كونفدراسيون » فألح غبطته بطلب تعديل هذا البروتوكول واستبداله باتفاقية القاهرة حفاظاً على استقلال لبنان .

وفي مؤتمر بكركي اجتمع احبار الملل المسيحية لتبادل الآراء وتمحيصها وتوجيهها الى الغرض المقصود اي استقلال لبنان ، فقال نيافة الكردينال تبوني بطريرك السريان الكاثوليك : « هنا معقل لبنان . هنا منقذ لبنان . فباسمي وباسم الوطن كله احيي هذا المقام ، المعقل والموئل الوحيد للمسيحية وللبنان » .

وزبدة القول ان سلطة البطريرك الماروني هي ملء التاريخ . فالطائفة المارونية قد تكونت في القرن الرابع تحمل اسم مارون ، وفي حياته وبعد مماته تكتل باسمه وحول اسمه مئات من الرهبان وآلاف من العلمانيين يعتنقون عقيدته الكاثوليكية ، ومن رهبانه قام بطاركة التف حولهم امراء لبنان وشعب لبنان فقاوموا بهم الطغاة والفاتحين . وما زالت سلسلة هؤلاء البطاركة تتوالى حلقاتها حتى اليوم في هذا البلد الحرّ ، الذي اتخذته الاقليات في الشرق من مسيحيين وغير مسيحيين حصناً منيعاً ضد طوارق الحدثان .

تلك هي رسالة البطريركية المارونية حتى اليوم . فاستمرارها على اتباع المنهج المأثور دعامة للكيان اللبناني مدى العصور ، واعتزالها عن التدخل في الامور الزمنية مباشرةً يفسح لها المجال للتفرغ للامور الدينية والاجتماعية وهي اعظم تأثيراً في تكوين الاخلاق التي تبنى عليها الامم .

وعليه نرى ان بكركي اليوم هي اكثر من مقر رئاسة دينية ، واكبر من ان تكون وقفاً على طائفة دون سائر الطوائف ، فهي جبهة النضال في حصون العقيدة اللبنانية ، تحمل على منكبيها ثلاثة عشر قرناً من التاريخ ، زاخرة بكل ما يعلو به شأن العمل الانساني والوطن والشرق ، وهي رمز رسالة سامية قدّمت الامة في سبيلها اعلى ما يمكن ان يقدم على مذبح جهاد ، من اجل حرية ، وبقاء ، واستمرار .

فهرس

مقدمة ٩
النصرانية في لبنان . . . ١١
في نشأة البطريركية المارونية . . ١٣
البطريرك الاول يوحنا مارون . ١٨
البطاركة حتى القرن الحادي عشر . ٢٢
قورش وجبرائيل ويوحنا مارون الثاني والدملصي
غريغوريوس الاول
اسطفان
مرقص
اوسابيوس
يوحنا الرابع
يشوع الاول
داود
غريغوريوس الثاني
توافيليكتوس
يشوع الثاني
دوميط
اسحق
يوحنا الخامس
سمعان
بطاركة القرن الثاني عشر . . ٢٥
يوسف الجرجسي
بطرس الاول
غريغوريوس الحالاتي
يعقوب الراماتي
يوحنا المحفدي
بطرس الثاني
بطاركة القرن الثالث عشر . . ٢٩
ارميا العمشيتي
دانيال الشاماتي
يوحنا الجاجي
شمعون الثاني
يعقوب
دانيال من حدشيت
ارميا الدملصي
بطاركة القرن الرابع عشر . . ٣٦
شمعون الثالث
يوحنا العاقوري
جبرائيل من حجولا
داود المحفدي
بطاركة القرن الخامس عشر . . ٤٠
يعقوب الحدثي
بطرس الحدثي
شمعون الرابع الحدثي
بطاركة القرن السادس عشر . . ٤٥
موسى العكاري
مخايل الرزي
سركيس الرزي
يوسف الرزي
بطاركة القرن السابع عشر . . ٥١
يوحنا مخلوف الاهدني
جرجس عميرة الاهدني

يوسف العاقوري
يوحنا الصفراوي
جرجس حبقوق
جرجس البسبعلي
اسطفان الدويهي
بطاركة القرن الثامن عشر . . ٦٤
يعقوب عواد
يوسف ضرغام الخازن
سمعان عواد
طوبيا الخازن
يوسف اسطفان
مخايل فاضل
فيلبوس الجميل
بطاركة القرن التاسع عشر . . ٧٥
يوسف التيان
يوحنا الحلو
يوسف حبيش
يوسف الخازن
بولس مسعد
يوحنا الحاج
بطاركة القرن العشرين . . ١٠٩
الياس الحويك
انطون عريضة
بولس المعوشي
خاتمة ١٣٣

انجزت المطبعة الكاثوليكية طبع
هـذا الكتاب في الثلاثين من
آذار سنة ١٩٥٨

٤١١٥ — ٢ | ٢٠ — ٣ — ٥٨

نصوص ودروس

٤

بطاركة الموارنة

بقلم

الخوراسقف يوسف داغر

المطبعة الكاثوليكية